الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

تجليات الآنا والآخر في رواية "كتاب الأمير" لواسيني الأعرج

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي

إعداد الطالبة:
كلثوم بن حمادة
حسينة بوجماعي

إشراف الأستاذ:
سليم بوعجاجة

السنة الجامعية: 2014/2013

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمِ

[سورة البقرة: 286]،

شكر وعرفان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" من أدى إليك معروفا فكافئوه ، فإن لم تجدوا فادعوا له "

وقال أيضا:

"من لم يشكر الناس لم يشكر الله "

نشكر الله عز وجل الذي وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع نشكر أستاذنا الفاضل الذي لم يبخل علينا بما جاءت به قريحته ، وأعطانا نقطة من بحر علمه ، نشكره على تعبه من أجل إتمام هذا العمل .

شكرا على النصائح التي قدمتها لنا والتي اعتبرناها جسرا نعبر من خلاله إلى طريق النجاح والتفوق نتمنى لك المزيد من التقدم والإبداع في عملك .

إهداء

إلى الأجنحة الملائكية التي حملتني إلى السماء وجعلتني احلق و أرفرف فوق الهواء ، إلى العيون اللينة المضيئة كأشعة القمر إلى القلوب التي بدفئها يتفتت الحجر . . . "إلى والدي أدامهما الله "

إلى الوجوه التي جعلت أيامي بلون الشجر ، إلى الأيادي التي حمتني من قطرات المطر ، إلى الابتسامات التي تتكلم بغير حروف تمزق سحب الظلام إلى "إخوتي وأخواتي" .

إلى من علموني أن الحياة وهم طويل كعمر السماء ، كعمر الرحيل ، وأن العلم السلاح البديل ، والأدب الكلام الجميل ، إلى "أساتذتي" .

إلى منبع الطيبة ورمز ا لمحبة ، إلى معنى الصداقة ، ومعنى الوفاء ، إلى زهرة حياتي وأغلى ماملكته روحي وانشرحت له صدري وسر به قلبي إلى صديقتي "ريحانة" .

إلى من عرفت معهن معنى الأخوة الحقيقية ، والصداقة الأبدية ، إلى من ساعدتني في أصعب اللحظات ، واللاتي عشت معهن أجمل أيام حياتي ، أيام لن يكررها الزمن إليكن : سامية ، فريدة ، فاطمة ، دنيا ، فريدة ، سمية ، فاطمة ، زينب ، سارة ، حدة أسماء ، سهيلة ، خديجة ، نورة .

إلى من علمني أن الصبر مفتاح الفرج ، وأن الله يمهل ولا يهمل ، إلى من نصحني في أوقات دراستي ، وغمرني بلطفه واهتمامه ، إلى من علمني أن الجد و الاجتهاد يولدان النجاح إليك "معاذ" .

إلى كل الذين نسيهم قلمي ولم ينساهم قلبي ، أتمنى من الله أن يوفقني وإياهم إلى طريق النجاح .

كلثوم

إهـــــداء

"وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا"

في بداية الكلام أهديك السلام ، سلام يحيط بالحب

والوئام ، يلأم العين ، والعين تبكي

سلام القلب الذي يعشقك ويهواك

إليك "أمي" الحنونة

إلى من كان للعمل دءوب حتى نعيش بلا عيوب

إلى من أحمل اسمه بافتخار للعيش في كنفه

بوقار إليك "أبي" العزيز .

إلى رمز الوفاء والأخوة إخوتي أخص بالذكر

أخي الوحيد "رائد"

وكل إخوتي : رحيمة-فاطمة-هدى-سماء

وإلى عمتي الوحيدة "نجية"

إلى طيور الجنة وزهور الحياة : محمد-منذر-يحي-هاشو-معاذ-هاجر-محمد.

إلى رمز لصداقة والإخلاص : سارة، صفية ، كنزة ،مريم ، خديجة، آمنة ، ريمة ، سميرة ، إيمان ، عبير ، إيمان ، ماجدة ، شمرزاد ، خولة ، مريم ، سميلة إلى من شاركتني العمل عزيزتي كلثوم.

حسينة

مُقَدِّمَة

الحَمْدُ لله الذي أنزلَ على عَبدِه الكِتابَ، ولم يجعل لَه عِوَجاً، بَشِيراً وَنَذِيراً، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، وَالصَّلاةُ والسَّلامُ علَى أَشْرَفِ الأَنْبِيَاءِ وَال مُرْسَلِينَ، الـمُشَرَّفِ بِخَيْرِ الكُتُبِ وَأَعْظَمِهَا شَأْنًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَبَعْدُ،

إن رؤية الأنا في مرآة الآخر ورؤية الآخر في مرآة الأنا، ليسا خروجا عن الموضوعية أو تحيزا أو هوى، فالحق مقياس الحكم، وكذلك الاستحسان العقلي، يعني التحسين والتقبيح العقليين المرتبطين بالفطرة الإنسانية واطراد التجارب البشرية.

ونظرا لما للأنا والآخر من أثر في رسم وتحديد العلاقة بين الوطن العربي والغربي، فقد أشبع هذا الدرس فحصا وتمحيصا من قبل الدارسين والباحثين العرب والأجانب على حد سواء، وبعد الإلمام ببعض ما جاء في الروايات العربية المختلفة، التي تطرقت للحديث عن جدلية الأنا والآخر من جميع الجوانب المختلفة

وبالأخص رواية كتاب الأمير ل"واسيني الأعرج"، تراءى لنا أن الآخر كان له الدور البارز في رسم لامح شخصيتنا الوجودية، الفكرية وحتى الحضارية العربية بصفة خاصة كانت تتسم بالعنف والقسوة وافتعال المعارك والحروب، عوض الوسائل المسالمة وطرق التعايش السلمي، وأساليب التثاقف المرن المبني على الاحترام، وهذا ما صورته لنا رواية الأمير، التي جسدت شخصية من أهم الشخصيات التي بنت تاريخها الحافل بالنضالات التي ساهمت في بناء الدولة الجزائرية

تلك النضالات التي أصبحت لها المكانة المميزة عند العربي وحتى الغربي، شخصية الأمير عبد القادر التي بدلت الغالي والنفس من أجل تحرير أرض الجزائر مدة خمس عشرة سنة، وما ميز هذه الرواية أن واسيني صور لنا هذه الأحداث بواقعية تاريخية دون مجاملة أو زيف، ووفقا لهذا كله ارتأينا إلى دراسة هذه الجدلية، بين الأنا والآخر ومحاولة التطرق للمواقف التي جمعت الأمير عبد القادر مع غريمه الفرنسي، ونقاط الاختلاف بينهما حسب تصورات الروائي ونظرته لهذه الثنائية التي أصبحت مصدر إلهام للعديد من الروائيين.

أما القصد من دراسة هذه الرواية هو إثارة النقاش حول هذه القضية، والكشف أن الآخر لا سيطرة له علينا، لأنه حين نثق بأنفسنا ونمتلك الاعتزاز بحضارتنا، نستطيع أن

نفتح أبواب الاختيار على أسس معرفية وجمالية، ونبتعد عن كل ما يغلق الفكر ويحاصر الوعي، مما يساهم في امتلاك "أنا" نستطيع إثبات وجودها بعيدا عن أي محاولة من الآخر لمسحها والقضاء على خصوصيتها

ونحن بهذا نسير على خطى الذين سبقونا إلى دراسة هذه الجدلية وغاصو ا في أعماقها بالدرس والتحليل أمثال: ماجدة حمود، وبشير بويجرة، وغيرهم من الذين أبدعوا في هذا المجال، وما درسن إلا نقطة في بحر إبداعاتهم وتجاربهم ودراساتهم التي بلغت ذروتها في العالم العربي، رغبة منا في الإجابة على الإشكالية التي شغلت تفكيرنا ودفعت بنا إلى أخد هذا الموضوع بالدرس والتحليل حيث تساءلنا أنه هل يمكن القول أن الذات بحاجة للآخر المختلف من أجل التغيير الذي تنشده وتطمح إليه؟

واستنادا لذلك كله بدا لنا أن هذا الموضوع سيطرح حسب الخطة التالية: المدخل حاولنا أن نناقش فيه مراحل ظهور جدلية الأنا والآخر في الرواية العربية خاصة والرواية الجزائرية خاصة، بالإضافة الى ذكر أهم الشخصيات التي برزت في هذا المجال أمثال: الطيب صالح.

أما في الفصل الأول فعنوناه بـ: الأنا والآخر بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي، تحدثنا فيه عن أهم المفاهيم التي أتى بها علماء النفس والفلاسفة والمفكرين العرب من خلال دراستهم لمفهومي الأنا والآخر، باعتبارهما مصطلحين مكملين لبعضهما

وتحدثنا في الفصل الثاني عن تجليات هده الأنا والآخر في رواية كتاب الأمير لـ"واسيني الأعرج"، الأنا المتمثلة في الأمير عبد القادر المناضل ضد المستعمر، والآخر ذلك المستعمر المستبد سواء كان راهبا أو عسكريا، متسامحا كان أو عدوا، معتمدين في ذلك على منهج تاريخي في تتبع الوقائع والأحداث التي بنيت من خلالها هذه الرواية، تلك الأحداث التي خاض فيها الأمير معارك طاحنة مع العدو الفرنسي

وقد أسست دراستنا على أهم المعلومات التي استقيناها من بعض المصادر والمراجع، التي لعبت الدور الفعال في إثراء بحثنا هذا والتي نذكر منها: أهم مصدر "رواية كتاب الأمير لواسيني الأعرج"، وأيضا " كتاب الأنا والآخر ورهانات الهوية في المنظومة الأدبية الجزائرية لمؤلفه الدكتور بشير بويجرة محمد"، وكذلك " كتاب إشكالية الأنا والآخر (نماذج

روائية عربية) للمؤلف د. ماجدة حمود"، كتاب "الثقافة العربية في عصر العولمة "لتركي أحمد"، وكتاب "الأمير عبد القادر الجزائري لمؤلفه بسام العسلي.

كما اعتمدنا على بعض المعاجم "كمعجم لسان العرب لابن منظور"، "المنجد في اللغة والإعلام"، ومختلف المواقع الإلكترونية التي أخدنا منها النصيب الأوفر، وإثر بحثنا ودراستنا المتواصلة لهذه الجدلية التي شغلت عقول أغلب الأدباء، واجهتنا بعض الصعوبات التي نتعفف عن ذكرها.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نشكر كل من ساهم في إنجاح هذا البحث البسيط ولو بالقليل، من قريب أو من بعيد، وبصفة خاصة أستاذنا المحترم الذي لم يبخل علينا بما جاءت به قريحته من معلومات وإرشادات ساهمت وبشكل كبير في إثراء رصيدنا المعرفي.

مدخل

دأب الجدل الوجودي على صنع كينونة هوية الإنسان عبر سياق تجاذبي، وبين عناصر وكيانات عدة قد تتباين وقد تتآزر وفق محطات زمنية ذاك النوع مدهش، وذلك التباين أو التآزر الواقع ضرورة هو المعيار الأساسي لديناميكية الكينونة الوجودية، وعند حصر ذلك المعيار فيما يحدث داخل حياة البشر يتجلى أكثر ويتموقع ضمن مفهوم رغبة الهيمنة، غريزة السمو، حب التجاوز، إلى غير ذلك من المفاهيم التي تجلت عبرها مسيرة الإنسان، وهو يبحث عن تموقع ما وسط ذلك العراك المنتج للمعالم الحضارية تارة، والمتسبب في الدمار تارة أخرى، وبما أن الظاهرة المطروحة ذات تجل وجودي في كثير من أبعادها، فقد أولاها الإنسان بفكره واهتمامه أهمية خاصة عبر العصور والأزمنة حتى استطاع أن يجعل كل ما يحدث داخل مفهومي الأنا والأخر من احتكاكات وتحديات تتجلى في الوقائع والأحداث التاريخية، تصيغان الكينونة الإنسانية بنكهة وطعم مختلفين [1]، وبعدها أصبحت هده الثنائية موضوعا مثيرا للجدل، فمنذ فجر النهضة العربية ظلت إشكالية العلاقة مع الأخر واحدة من أهم الموضوعات التي شغلت المفكرين والمثقفين العرب طوال القرن الماضي من محاولة النهضة إلى محاولة للبحث عن ملامح الهوية، تتحدد وتتصادم في خضم العلاقة مع الأخر، والى جانب المثقف ألتنظيري لم يتردد المبدع العربي في جعل هذه الجدلية موضوعا لإبداعه، فقد كتب عبقري الرواية الطيب الصالح " موسم الهجرة إلى الشمال " متناولا في إبداع سردي رفيع تلك العلاقة الغائمة مع الأخر وقبله فعل يحي حقي في " قنديل أم هاشم " وتوالت بعد ذلك روايات تشيطن الأخر أو تتصالح معه وعند الحديث عن حضور الأنا والأخر في أدبنا العربي الحديث فقد كان منذ القدم جزءا من الكتابات الأدبية، وغير أن مفهوم الأنا لم يتبلور فلسفيا إلا في أواسط القرن التاسع عشر ميلادي ،وذلك من التغلغل الاستعماري في العالم العربي والإسلامي قصد التحكم فيه سياسيا واستغلاله اقتصاديا واجتماعيا وإضعافه عسكريا وإعلاميا ومن هنا طرحت فكرة الشرق والغرب، فكريا وإبداعيا وتخيليا فعرضت على مائدة النقاش والبحث والجدال الواسع، فالرواية العربية منذ ظهورها في أواسط القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا، قامت بتجسيد ثنائية الأخر والأنا عبر مجموعة من الرؤى والأنماط والصور المتقابلة سواءا كانت سلبية أو ايجابية تترجم لنا ثنائية الشرق والغرب .

1 – د.بشير بويجرة محمد: الأنا الأخر ورهانات الهوية في المنظومة الأدبية الجزائرية، منشورات دار الأديب، وهران، الجزائر، 2007 .د.ط. ص 9-10 .

وقد كانت لأحداث "سبتمبر 2001 " بصمتها الخاصة على الضمير العربي مأأرق للفكر والإبداع، لذلك من الطبيعي أن يزداد طرح إشكالية الأنا والآخر في الرواية العربية على تأكيد هويتها والدفاع عنها في مواجهة تهمة الإرهاب التي ألحقها الغربي بها، بعد أن شاع لديه أن " الإسلام فوبيا " فاستمر في اختزال الأنا العربية في صورة نمطية مشوهة كانت قد بدأت بينهما مند بداية الاحتكاك في القرن الثامن عشر، وهنا تتجلى أهمية دراسة صوت الأنا في مواجهة صوت الأخر في الرواية العربية في كتاب، وقد اختيرت هذه الفترة المعاصرة أي في العقد الأول من الألفية الثالثة، حيث صدرت معظم الروايات وبالتالي فقد حاولت هذه النماذج الروائية أن تجسد الرغبة في فهم الأخر الذي بدا في هيئة العدو [1]، كما أتاحت الفرصة لصوت الأنا أن يعبر عما يجول في الأعماق من مخاوف واحباطات وأمال، بالإضافة إلى ذلك بدأت ظاهرة جديدة تفرض نفسها في الرواية العربية، وهي الجرأة في نقد الذات والآخر معا ،من دون أن يؤدي ذلك إلى تعزيز الصراع مع الآخر المختلف (في الدين، العرق، الفكر) بل حاولت بناء جسور التفاهم واللقاء بعيدا عن المنفى والإقصاء، فركزت على تقنية الحوار [2] كما نرى لدى بعض الروائيين في تقديم الثقافة الإسلامية بوجهها المتسامح، كما فعل الروائي علي المقري في اليهودي الحالي، كما لمسنا تسليط الضوء على روعة حضارة الانفتاح على الآخر المختلف في رواية "أرض السواد لعبد الرحمن منيف " في القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين سهرة تتكرية للموتى لغادة السمان .

وبذلك تجاوزت الرواية العربية الحدود الغربية وتموضعت في الوطن العربي نوعا أدبيا قادرا على التعبير وفق رؤية واضحة ،كما تجاوزت لغة الهيمنة والاستعلاء التي تعد مسؤولة عن فرض أحكام مسبقة تشوه صورة الآخر مثلما تشوه صورة الأنا خصوصا، حيث حاولت التخلص من أحادية اللغة وبدأت تستخدم تقنية تعدد الأصوات (اللغات، وجهات النظر المختلفة) التي تفسح المجال لممارسة التعددية في مواجهة الأنا فنتذكر ايجابياتها وسلبياتها، أي تمارس النقد الذاتي، وبذلك تعزز ثقافة الانفتاح حيث تستخدم الرؤى المتعددة في تقديم الأنا والآخر، فتصبح الرواية العربية أو الرواية بصفة عامة إحدى آليات الخبرة الإنسانية ترصد تفاعلاتها وتزود المتلقي بالوعي الذاتي كما تنعش قيم الجمال في نفسه مما يسهم في

[1] - د.ماجدة حمود إشكالية الأنا والأخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، الكويت مارس 2003 .ط1، ص7.
[2] - المرجع نفسه ص251.

رسم صورة متوازنة للأنا والآخر، فينمو فكر تعددي لا يضع من يخالفنا الرأي أو العقيدة أو العرق في قالب واحد ينتزع إنسانيته ويمحو تنوع أفراده ليطابق صورة مسبقة عنه، وبذلك يتم التخلص من الإرهاب الفكري الذي بات يحاصرنا اليوم [1] .

[1] - المرجع نفسه ص252.

الفصل الأول

الأنا و الآخر بين المفهومين اللغوي و الاصطلاحي

أولا: - مفهوم الأنا :

1 - مفهوم الأنا عند علماء النفس :

اهتم علماء النفس اهتماما كبيرا بمفهوم الذات ويعود دلك للدور الذي تلعبه الذات في المواقف الحياتية اليومية وعلاقتها الجدلية بالواقع الاجتماعي الذي نعيش فيه، ويتعلق تفاعل الفرد مع المجتمع من حوله من بشر وحيوانات وبنية اجتماعية وعقلية ويمكننا أن نؤكد تصور الذات، ونقول أنها الذات الفاعلية أو الفاعل الاجتماعي، وهذا المفهوم قريب من مفهوم النفس البشرية التي هي حصيلة تفاعل عوامل داخلية وراثية وخارجية مجتمعية.

1 ـ ***الأنا عند فرويد:*** الأنا عند فرويد ego يشير إلى الجانب العقلاني من الشخصية، أي الجزء التنفيذي من الشخصية الذي يوفق بين مطالب ألهو والأنا الأعلى [1]، وتحت تأثير العالم الخارجي من ألهو عن طريق جهات الإدراك الحسي والشعور، تغير الجزء الخارجي من الهو ونما نموا خاصا، واكتسب خصائص معينة وقد أطلق فرويد على هذا الجزء من حياتنا النفسية "الأنا"، ويشرف الأنا على الحركة الإرادية ويقوم بمهمة حفظ الذات، وهو يقبض على زمام الرغبات الغريزية التي تنبعث عن الهو، فيسمح بإشباع ما يشاء منها ويكبت ما يرى ضرورة كبته مراعيا في دلك مبدأ الواقع ويمثل الأنا الحكمة وسلامة العقل [2] على خلاف الهو الذي يحوي الانفعالات وتقع العملية النفسية الشعورية على سطح الأنا وكل شيء آخر في الأنا فهو لا شعوري [3] .

وقد أخد سيغموند فرويد باقتراح جورج جرودك الذي لم يتعب إلى الإشارة دائما إلى أن سلوك ما نسميه الأنا إنما هو جميع مراحل الحياة سلوك سلبي في أساسه وأننا نعيش كما يقول مدفوعين بقوى غير معروفة ولا يمكن إخضاعها لسلطتنا فيقول فرويد :<< إني أرى أن نأخذ باقتراحه وان نطلق اسم الأنا على دلك الكيان الذي ينشأ عن طريق الإدراك الحسي والذي يصبح ما قبل الشعور >>[4].

---

[1] - أحمد يحي الرق .علم النفس قسم علم النفس التربوي كلية العلوم التربوية، الجامعة ألللأردنية، دار وائل للنشر والتوزيع .عمان، الأردن د.ط. 2006 م.

[2] - سيقموند فرويد، الأنا وألهو ترجمة د.محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، مصر القاهرة ط4،1904، ص16 .

[3] - المرجع نفسه ص17 .

[4] - المرجع نفسه ص 40 .

فالجهاز النفسي حسب افتراض فرويد في بحثه في أعماق النفس فيتكون من الأنا (ego) النفس الذاتية الهو (ID) النفس البدائية، الذات العليا (super ego) النفس اللوامة، فالأنا هي أي نفس عادية تعاني النقص والفقد والغياب ،أما بالنسبة للذات فهي ما نطمح إليه جميعا فهي الاكتمال والتحقق والوجود كما إنها حالة مستقبلية، فبمجرد أن تتحقق تتحول إلى "الأنا" ناقصة نسبيا ثم تعاود الصعود والعودة إلى مدارج الكمال.

أ – ***الهو:*** هو ذلك القسم من الجهاز النفسي الذي يحوي كل ما هو موروث وما هو موجود منذ الولادة وما هو ثابت في تركيب البدن وهو يحوي الغرائز التي تنبعث في البدن، كما يحتوي على العمليات النفسية المكبوتة التي فصلتها المقاومة عن الأنا، ففي ألهو جزء فطري وجزء مكتسب، ويطيع ألهو "مبدأ اللذة " وهو لا يراعي المنطق أو الأخلاق أو الواقع واللاشعور هو الكيفية الوحيدة التي تسود في ألهو [1].

ب – ***الأنا الأعلى:*** هو ذلك الأثر الذي يبقى في النفس من فترة الطفولة الطويلة التي يعيش فيها الطفل معتمدا على والديه وخاضعا لأمرهما ونواهيهما ،ويقوم الأنا عادة بتقمص شخصية الوالدين وممن يشبههما من المدرسين والمربيين، وبذلك تتحول سلطة هؤلاء الخارجية إلى سلطة داخلية في نفس الطفل، تأخذ تراقبه وتصدر إليه الأوامر وتنقده وتهدده بالعقاب ويطلق فرويد على هده القوة النفسية الأنا الأعلى أو الأنا المثالي وهو ما يعرف عادة بالضمير ويمثل الأنا الأعلى ما هو سام في الطبيعة الإنسانية [2].

1 – ***الضمير:*** يتكون من مفاهيم أو تصور الفرد لما هو خطأ ولا يجب عليه فعله وهو ناتج عن ما كان قد عوقب عليه الفرد .

2 – ***الأنا المثالية:*** تتكون من تصور الفرد لما هو صحيح [3] " فالأنا الأعلى يعتبر الموجه الأخلاقي والرقيب على سلوك الأنا وبدلك تكون الطاقة التي تخرج من ألهو متجهة إلى'الأنا' و'الأنا الأعلى' بواسطة ميكانيزم التقمص، فيكون نتيجة لذلك استخدام الطاقة بواسطة 'الأنا' والانا الأعلى لتحقيق هدف الهو [4]".

---

[1] - سيقموند فرويد، الأنا وألهو ترجمة د.محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، مصر، القاهرة، ط4، 1904 ،ص16.

[2] - المرجع نفسه ص 17.

[3] - أحمد يحي الرق، علم النفس، قسم علم النفس التربوي، كلية العلوم التربوية، الجامعة الأردنية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان الأردن، د،ط 2006 م.

[4]- عبد القادر فيدوح، الاتجاه النفسي في نقد الشعر الغزلي 5: دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان: ط 2 ،2009، ص 69.

وبهذا التنظيم للجهاز النفسي تصبح مهمة ' الأنا ' مهمة شاقة ودقيقة فعليه أن يقوم بمراعاة هذه السلطات الثلاث وهي العالم الخارجي والهو والأنا الأعلى وهو يحاول دائما ان يوفق بينهما وإذا فشل في ذلك نشأت الاضطرابات العصبية والذهني.

1 2 - الأنا عند يونغ :

تقوم نظرية يونغ النفسية على نظرية فرويد إلا انه أعطاها أبعاد ومفاهيم مختلفة فمثلا:

مفهوم اللاشعور الذي تقوم عليه نظريات التحليل النفسي لا يقصد به يونغ ما قصده فرويد فقد قسمه إلى:

- لاشعور شخصي يضم خبرات الفرد الذاتية .
- لاشعور جمعي يضم خبرات المجتمع عامة وكل ميراث السلف، فالماضي الطفولي عند يونغ يضع السلوك الحاضر كواقع ويوجه السلوك في المستقبل كإمكان، فهو يرى في الخبرات الطفولية المكبوتة في اللاشعور محرك قوي للإبداع عند الفرد ولم يكتف بذلك وحسب بل دعى إلى ضرورة النظر إلى المستقبل، فمستقبل الفرد ومقاصده عند يونغ لها أهمية كبيرة في توجيه السلوك كأهمية الماضي تماما، فالسمة البارزة في نظرية "يونج" هي جمعة بين الغائية والعلية وقد عبر بجملة << إن الإنسان تحركه الأهداف بقدر ما تحركه الأسباب >>.

- ومن المبادئ التي تقوم عليها نظرية يونج هي :

أ - **مبدأ القطبية:** اقتنع بأن العالم أسرة قد وجه بسبب التعارض القائم بين الأشياء، وهدا التعارض يستدعي الصراع والحياة بدون صراع لا تساوي شيئا.

ب - **التعويض:** عندما تشعر الشخصية بأنها في حالة صراع نتيجة عجزها عن تحقيق هدف مرغوب فيه فإنها تبحث عن أهداف أخرى لها نفس الجاذبية ويترتب على تحقيقها إزالة هذا الصراع .

ت - **مبدأ تحقيق الذات:** الهدف الأساسي من نمو الشخصية الفردية هي تحقيق الذات وقد كان "يونج" من النوع المتفائل ووجد أن مستقبل الإنسان أفضل من الماضي.

1 -3 مكونات الشخصية عند يونج :

1) **الأنا:** الأنا تشتمل فقط العقلية الإنسانية والشعورية << هي العقل الواعي في صلة الإنسان بالواقع وهو مسؤول عن العمليات الشعورية كالتفكير والإدراك والإحساس والفهم والتوحد، من خلال الأنا يعرف الإنسان نفسه وهو خير ما يعرفه الإنسان من مكونات شخصيته فهو الذي يوقظه وينبهه ويذكره بالأشياء التي يجب عليه القيام بها .

الأنا يوجد في مركز العالم الشعوري، ولكنه قد يدخل في صراع مع العالم اللاشعوري فمثلا: الإنسان الذي يعيش على مستوى الأنا الشعوري يغضب جدا لفكرة أنه بداخله لاشعور ويشعر بأن هناك جزء من شخصيته خارج إطار تصرفه فهذا يشعره بالضعف والنقص حيال شخصيته .

2) **اللاشعور الشخصي:** يقول يونج « أن الخبرات التي يمر بها الشخص لا تنسى ولا تختفي تماما، وإنما تصبح جزءا من لا شعوره الشخصي، وتلك الخبرات إما أن تكون قد كتبت لاإراديا أو قمعت إراديا باعتبارها ذكرى مؤلمة للأنا أو أنها من الضعف بحيث لم تترك انطباع شعوري في النفس.

3) **اللاشعور الجمعي:** يعتبر السمة المميزة لنظرية "يونج" في الشخصية ففيه تختزن الخبرات المتراكمة عبر الأجيال والتي مرت بالأسلاف القدامى، وهو الأساس العنصري الموروث للبناء الكلي للشخصية فعليه يبنى الأنا واللاشعور الشخصي وجميع المكتسبات الفردية الأخرى[1].

2- مفهوم الأنا عند الفلاسفة:

1 - الأنا عند "لالاند" :

نقرأ في معجم "لالاند" الفلسفي في معنى الأنا moi ما يلي:

«وعي فردي يوصفه منشغلا بمصالحه ومنحازا لذاته». وأيضا «الميل إلى إرجاع كل شيء للذات»، ويستشهد "لالاند" بعبارة للفيلسوف اللاهوتي والعالم الفرنسي 'بليز باسكال' يقول فيها: «للأنا خاصيتان فمن جهة هي في ذاته غير عادل من حيث انه يجعل من نفسه

[1]- http://nasaeh.wa.ma3lomat.123.st/e278.copic.

مركزا لكل شيء وهو من جهة أخرى مضايق للآخرين من حيث أنه يريد استبعادهم ذلك لأن كل أنا هو عدو يريد أن يكون المسيطر على الكل»[1].

إذن فمفهوم الأنا مبني على السيطرة، أو سيطرة الذات على ما تتخذه موضوعا لها، سواء كان هذا الموضوع أشياء الطبيعة أو أناسا آخرين ففي هذا المعنى كتب ماكس "هوركهيمر" يقول: « من الصعب جدا أن يحدد المرء بدقة ما أرادت اللغات الأوروبية في وقت من الأوقات أن تقوله وتعنيه من خلال لفظ ego (الأنا)، إن هذا اللفظ يسبح في تداعيات غامضة فاصلة، فمن حيث انه "مبدأ الأنا" الذي يحاول جاهدا لكسب المعركة ضد الطبيعة على العموم وضد الآخرين على الخصوص، كما ضد الدوافع السلوكية التي تحركه ويبدو الأنا مرتبطا بوظائف السيطرة والحكم والتنظيم (...) ولم يتحرر مفهوم الأنا من حمولاته وشوائبه الأصلية إلى نظام السيطرة الاجتماعية وحتى الصياغات المثالية لنظرية الأنا عند ديكارت تنطوي بالفعل فيما يبدو على معنى السيطرة[2].

من خلال هذا التصور للأنا كمبدأ للسيطرة يتحدد موضع الأخر ودلالته ووظيفته في الفكر الأوربي أي بوصفه موضوعا للسيطرة أو عدوا يقول "سارتر": « أنا في حاجة إلى توسط الأخر لأكون ما أنا عليه »[3]

2 – *الأنا عند "ديكارت":*

يعرف ديكارت الأنا على أنه أبو الفلسفة الحديثة، وذلك لأن البرنامج الذي وضعه لنفسه والمنهج الذي اتبعه في تحقيق هذا البرنامج قد شكل قطيعة مع فلسفات العصور الوسطى، وأحدث تأثيرا بالغا في الفلاسفة المحدثين اللاحقين، والغريب أن ديكارت في عمله الفلسفي الأساسي وهو "تأملات الفلسفة الأولى " لا يبدو منه أن هدفه فلسفي تماما، هذا ما يجعل من الكتاب لاهوتيا يهتم بصحة الإيمان والعقيدة وبهذا يكون كتاب تأملات تبريرا عن الإيمان بالعقل، وعلى الرغم من أن ديكارت يهدف في كتابه هذا إلى إثبات وجود الله وخلود النفس إلا أن أهدافه كانت أوسع من ذلك بكثير،والملاحظ أن اليقين الذي توصل إليه ديكارت بعد الشك هو الذات المفكرة،أو الأنا أفكر وذلك انطلاقا من الشك نفسه،إذ يذهب

[1] - تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الشافي، بيروت، ط1، 1999، ص195.
[2] - http :lebn.khaldoun.com/les.lecon.php .iD/
[3] - نفس الموقع .

إلى انه ما دام يشك فهو يفكر وطالما يفكر فهو موجود :«أنا أشك إذن أنا أفكر إذن أنا موجود »فهو بذلك يهدف من خلال كتاب تأملات إلى الوصول إلى يقين وهذا اليقين هو إثبات وجود الذات أو الأنا أفكر وعن طريقها يتم إثبات وجود الله ،من منطلق إن هذا الأنا أفكر لم يكن موجودا دائما، ،وبالتالي فهناك سبب لوجوده،وسبب الوجود يتمثل في الخلق من العدم،وهكذا فان وجود الأنا حادث ومخلوق وفي حاجة إلى خالق وهو الإله، ولهدا فقد كان ديكارت يشك في كل شيء[1].

ثالثا- الأنا في الفكر العربي :

أ - **لسان العرب لابن منظور** : جاء في لسان العرب لابن منظور أن :

" أنا" إسم مكني وهو للمتكلم وحده[2].

« كما جاء في منجد اللغة والإعلام أنا منفصل للمتكلم والمتكلمة »[3].

ب - **الأنا عند "تركي الحمد"**:

يقول الأستاذ تركي الحمد متسائلا: « عندما أقول أنا للدلالة على ذاتي المستقلة في مواجهة الآخرين والتميز عنهم من حيث تأكيد الاختلاف، وتلك الحدود الفاصلة بين ذاتي هذه وبقية الذوات، عندما أقول ذلك فماذا أعني، بمعنى آخر هذه الأنا ما هي؟ وعلى ما تدل؟ وإلى أي مدى تتصرف؟ نحن لا نريد الدخول في دهاليز علم النفس ونظريات فرويد وآدلر و يونغ رغم أن العلاقة وطيدة وثابتة وضرورية بين هذا ودلك، ولكن المراد مجرد الوصول إلى أجوبة بسيطة قد تكون هي المفتاح لكثير من الإشكاليات التي تعاني منها في هذا العصر أفراد أو جماعات ».[4]

- ثم يتساءل مرة أخرى: « عندما أقول ذلك أي أقول (أنا) هل اقصد ذاتي الحاضرة الآن وهنا؟ أم أقصد الطفل الذي كان والمراهق الذي كان والشاب الذي كان، ومن

---

1 -الموقع:www.alhiwar.org/debat/show .

- أشرف حسن منصور، تاريخ الفلسفة الحديثة، ديكارت، 2008، 45.10.

[2] - ابن منظور: لسان العرب، ضبط نصه وعلق حواشيه خالد رشيد القاضي، دار صبح واد يسوفر، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص233.

[3] - في اللغة والإعلام، دار المشرق والمكتبة الشرقية، بيروت، لبنان ط1، 1991، ص19.

[4] - تركي الحمد: الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الشافي، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص193.

ثم الكهل الذي هو الآن، والعجوز الذي قد يكون؟ هل اقصد أحد هؤلاء أم هؤلاء جميعا الذين يشكلون سلسلة متصلة من الحلفاء، تكون في مجموعها هذه الذات الحاضرة التي نسميها (أنا)».[1]

- ثم يتساءل مرة أخرى :

« وعندما أقول أنا: هل المعنى منصرف من حيث خصائص الشخصية إلى ذلك (الجاد) في قاعة المحاضرات أو ذلك (الضاحك) في جلسة سمر وأنس، أم ذلك (الباكي) في لحظات الحزن والألم أو ذلك (المنطوي) في لحظة القلق والمنبسط في لحظات الانطلاق أم هو ذلك (المتمرد) أم الحازم، أم هو ذلك المتقلب المزاج أو ذلك (الثابت المزاج) أم كل هذا وذاك ». ووضع جوابا لتساؤله بقوله :

« لاريب أن الإجابة مرة أخرى وببساطة هي أن (أنا) هو كل دلك وليس أحدهما وبعضهما وعندما نقول (أنا) هو كل ذلك: الطفل والمراهق والشاب والكهل والضاحك والباكي والجاد والهازل والمتقلب وغير ذلك، فنحن نفترض (أنني) كائن سوي، وإلا فإن هناك من يبقى طفلا طول حياته، أو انطوائيا من المهد إلى اللحد، أو شابا عابثا أو مراهقا متصابيا طول العمر، بل هناك من يولد عجوزا، أو يبقى عجوزا طفلا كان أو شابا، وفي كل اللحظات من فرح أو قرح، انبساط أو انطواء، غير أن مثل هذه الكينونة كائنات غير سوية، لا ينطبق عليها قانون الحياة العام، وبالتالي تعتبر في عداد المرض والأمراض » .

ثم يخلص الكاتب في النهاية إلى القول: « عندما أقول (أنا) معبرا عن هوية معينة وذاتية محددة فإني في حقيقة الأمر إنما أتحدث عن شقين متكاملين في علاقة جدلية معينة: شق ثابت أو شبه ثابت وهو يشمل تلك الخصائص الموضوعية التي يعرفني الآخرون من خلالها وهذا ما نسميه الشكل، أما الشق أو الجانب الآخر للأنا، فهو ذلك البعد الغير مرئي مني والذي لا يدركه سواي، وقد لا أدركه حتى أنا ،إذا أخذنا بنظريات التحليل النفسي، وهذا البعد اللامرئي، هو نتاج صراع الذات مع الظروف المتغيرة أو المتغيرات المحيطة التي واجهت الحياة التي صارت وجعلتني ما أنا عليه اليوم، وهذا ما نسميه (الجوهر) في الأنا ».[2]

[1] - المرجع نفسه ص194 .

[2] - - المرجع السابق ص 195.

ثانيا: مفهوم الآخر:

1 – الآخر بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي:

من هو الآخر ذلك الذي تريد أن تتجاهله والمتواري وراء استقطابات الهوية وأنانية التفرد والنرجسية، فيولي منا مواريا بذاته –هو أيضا– على نحو القطيعة والنفرة من أخريه لا تعنيه ولا تستفزه ولا تغريه بمفازة التباري والتنافس والتمثل بل تدفع به نحو هاوية عدم الاكتراث والتعرف على ملمح الآخر وحقيقته، هذه الإمتثالية المفتقرة إلى نور العقل وبصيرة الوعي بالذات وبذلك نطرح هذا السؤال هل الآخر ذلك المعرف لذاتنا المستترة والقابع في متن الواقع الحي، هو ما نريد إقصاءه وإلغاءه من إدراكنا باعتباره جحيما، وهو الذي نريد منه تسخيره لفعل القسوة والاستعداد والمبارزة، لذلك نظفر بتطهير الأرض منه لنحافظ على طهارتنا المزعومة ونتقرب بذلك إلى المطلق .

ومنه فإن الآخر لديه تعريفات مختلفة فقد عرف فلسفيا لدى الفلاسفة كما لا ننسى علماء النفس قد وضعوا له تعريفات، وقبل كل هذا يجب أن نتطرق إلى مفهوم تعريف الآخر أو <الغير> في اللغة والإصطلاح حيث يكون مفهوم الآخر على النحو التالي :

أ – المفهوم اللغوي:

والآخر بالفتح: أحد الشيئين وهو اسم على افعل والأنثى أخرى إلا أن فيه معنى الصفة لأن افعل من كذا لا يكون إلا في الصفة .

والآخر بالمعنى غير، كقولك رجل آخر، وثوب آخر، وأصله افعل من التأخر فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد استقلت فأبدلت الثانية ألفا لسكونها وانفتاح الأولى قبلها [1]... وقوله تعالى « ومناة الثالثة الأخرى» [*] تأنيث الآخر ومعنى آخر شيء غير الأول .

[1] - ابن منظور: لسان العرب، مادة آخر باب الهمزة، ج2، دار المعارف القاهرة د ط، ص38-39 .
[*] - سورة النجم 20.

وتصغير آخر أو يجر.

ومنه فقد اجتمعت المعاجم أن (الآخر) يأتي بمعنى (الغير) سواء أكان إنسانيا أو شيئا وتشمل تلك المعايرة العدد والماهية أما في القرآن الكريم فقد وردت لفظة "آخر" لقوله تعالى « فآخران يقومان مقامهما » [*]

فسره ثعلب فقال: فمسلمان يقومان مقام النصرانيين .

ب – المفهوم الاصطلاحي:

يقول سعد البازغي في تعريف الآخر بأنه: « المختلف هو من تفتقر إليه الذات، هو مالا تملكه أي أن الذات في مواجهة الآخر ،إنما تواجه نفسها منقوصة تنظر في مرآة حاجتها وعوزها الآخر يحتد فيه شعور الذات بذاتها وتزداد رغبتها بالاكتمال عبر الامتزاج به، أو بما يرمز إليه » .

إذن فإن الآخر هو المختلف في الجنس أو الانتماء الديني أو العرفي أو الفكري وتتضح إشكالية الأنا (العربية الإسلامية) والآخر العربي بسبب سوء التفاهم والمواجهة السياسية والعسكرية أما علاقة الذات به من الناحية الثقافية والاقتصادية والتقنية فقد بدت ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها.[1]

2 – الآخر مفهوم تاريخي تطوري:

الآخر هو نص الوجود المشبه لوجودنا والذي يجب قراءته بإمعان ودقة لكي يتم التعامل معه بدراية تستوفي اشتراطات معقولية لعلاقتنا معه وترسيم الأفق الإنساني بيننا وبينه [2]، ولكي يكون مخاض التلازم ألعلائقي بيننا وبينه واعيا لحقيقة التباين والاختلاف وحتى التدافع والصراع .

الآخر هو بداية المعرفة الوجودية، يوم خلص الإنسان إلى انه له مثيل ولو كان خياليا أو لا مرئيا على مستوى الحواس، فالإنسان البدائي جعل من الطبيعة والحيوانات آخرا .

---

[*] - سورة المائدة 107 .

1 - ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر نماذج روائية عربية، عالم المعرفة، الكويت، مارس، 2013، ص17 .

2 - الموقع: www.kalema.net/v1/?rpt:86andavt:traduirecettepage.

ومن هنا جاءت فكرة "الطوطم" والذي كان بمثابة الآخر عند الإنسان البدائي وهو الحيوان أو النبات الذي ترتبط باسمه العشيرة عند الشعوب البدائية، فيحرمون أكله على أنفسهم لأنهم يعتبرونه جدهم الذي انحدروا منه، ويسمون أنفسهم به ويطلقون عليه اسم العشير.

ثم سارت المجتمعات نحو التقسيم الطبقي وصار الآخر مؤنسنا غيريا، أي أن الإنسان أصبح آخره هو الغير الإنساني، وليس الآخر الأسطوري وبدا وكأن الآخر قدرا طبقيا لا مفر منه حيث ساد التقسيم على أساس أسياد وعبيد، أغنياء وفقراء .

فصار الآخر لكليهما هو نقيضه، والتمثيل الحضاري لدلك التقسيم هو ما كان قائما في حضارتي سومر وأكاد.

ففي الحضارة البابلية انبثقت شريعة "حمو رابي" لتنظيم دوائر تلك العلاقة الطبقية بين فئات الناس، لتجعل التنظيم الاجتماعي أكثر فاعلية في الحراك الفئوي والطبقي لمجتمع الحضارة البابلية حيث صار الفرد يمكنه الانتقال من فئته أو طبقته صعودا أو نزولا حسب مكانته وأهميته أو خسارته لذلك صار الآخر الغير في الحضارة البابلية وما تبعها من حضارات قريبة العهد بها قدرا اجتماعيا بعد أن كان قدرا طبقيا محكما لا مفر منه.

3 – سيرورة مفهوم الآخر فلسفيا :

المعنى العام لمفهوم الآخر هو الغير أي المختلف وكانوا يطلقونه على الأشياء وأيضا على الحالات المعنوية، إن الآخر هو البنيوي المغاير الذي يقال الذاتي والمشابه [1] والغير هو أحد تصورات الفكر الأساسية ويراد به ما سوى الشيء مما هو مختلف أو متغير منه ويقابل الأنا، ومعرفة الغير تعين على معرفة النفس .

ويأتي المفهوم الأولي فلسفيا لمصطلح الآخر "الغير" من خلال الطابع الأنطولوجي للفلسفة اليونانية التي رسمت له معنى متقابلا لمعنى الهوية وهو المعيار المحدد لمعنى الكينونة أو ما يميزها عن غيرها،كما قال بذلك سقراط والذي عززه أرسطو بصياغته المنطقية

[1] -الموقع: www.kalema.net/v1/?rpt:86&art:traduircettepage

المعروفة كمبدأ الهوية والذي يؤكد على إما أن يكون الشيء هو هو وإما أن يكون مخالفا لذلك .

الأمر الذي سارت بداية الفلسفة المعاصرة على منواليه، فأكد "ديكارت" على مفارقة الأنا الفردية الواعية، بعيدا عن تدخل الأخر في عمليات البحث الأنطولوجي، وحتى أن البحث عن الآخر يكون استدلاليا أيضا بعيدا عما تقدمه هو عن نفسه، ويكون الآخر بذلك ملازما للكوجيتو، أما هيقل فنحى قليلا لموضوعه الآخر بالقرب من وعي الذات حينما وصل في كتابه الشهير "علم ظهور العقل" إلى النتيجة التالية: « إن الوعي بالذات هو الانعكاس المشتق عن حضور العالم الحسي والعالم المدرك، الوعي بالذات ماهيته العودة إلى ذاته ابتداءا من المعايرة أنه بما هو وعي بالذات حركة[1].

وبذلك يكون هيقل أول فيلسوف تجاوز الشعور السلبي باتجاه الآخر وهدم جدار العزلة الإبستيمية بين الذات وآخرها إن جاء من بعده أوفياء المدرسة الديكارتية كهرسل الذي أصر على ملازمة حضور الآخر في الكوجيتو فيما ذهب الوجودي هيدقر في كتابه "الوجود والعدم" « إلى أن الأنا لا يمكن أن يوجد إلا في إطار علاقتها مع الآخرين (الجود–مع) في كتابه "الكينونة والعدم" وذهب إلى كونه لا يعبر عن علاقة تبادلية اعترافيه وصداميه بل يعبر عن علاقة بالأساس عن أحد أشكال التضامن الأنطولوجي لاستغلال هذا العلم، فالآخر له وجود فعلي خارج ذاتي باعتبار صورتي تتشكل من خلاله، فقد بين سارتر أن الإنسان ليكون إنسانا شريرا أو خيرا أو حسودا إلا إذا اعترف الآخرون بذلك ،فلكي أكون فكرة عن ذاتي لابد أن أمر من خلال الآخر» [2]

وبذلك صار شعاره "الآخرون هم الجحيم"

وقد عارض ميرلو بونتي طرح سارتر بقوة نافيا أن تكون نظرة الغير للأنا تحولها إلى موضوع ،أو أن نظرتنا إليه تحوله إلى موضوع ،إلا بالرجوع إلى الذات وعزلها ،علما بأن الذات يمكن أن تكسر ذلك الحاجز بسعيها نحو التواصل، وبذلك تكف الأنا عن التعالي ويمكن للغير أن يتواصل معها .

[1] - www.kalema.net/v1/?rpt:86&orttraduircettepage.
[2] – نفس الموقع .

4 - مفهوم الغيرية عند جان غرايش:

تنتمي الغيرية، وهذا مند الحوارات الأفلاطونية ايرمينيدس وتائيتاتوس وفيلابوس (السوفسطائي) "الميتامقولات" التي ساهمت في بناء الخطاب الفلسفي كما يبدو عليه اليوم ففي السفسطائي ،اشتملت مقولة "الآخر" سلسلة "الأجناس الكبرى" الخمسة: الكائن والحركة والسكون والأنا والآخر، لهذا يمكن التأكد من الحدس الأفلاطوني ،الرامي إلى الاعتقاد بأن مقولة الآخر يتعلق بالتفكير الميتافيزيقي الذي يتوجب عليه مواجهة كل تعقيدات الواقع، بواسطة الكيفية التي يشغل بها أرسطو مفهومي " الأنا " و"الآخر" عندما يأخذ بعين الاعتبار الفرو قات الموجودة بين مفهوم الغيرية العام والمفهوم الخاص "للاختلاف diaphord" .

ليس هنالك ما يدعو الى افتراض بأن مقولة الأخر، عند دخولها المشهد الفلسفي، أقامت علاقة إمتيازية إزاء الإتفاق، فعلى العكس من ذلك تماما، إذا اكتست هذه المقولة مرآة "وجه محسوس" فلم يكن أن يتسنى لها ذلك إلا في كنف سياق التأملات التي طالت الزمن (القوة الكبرى للفساد أو التحول) أو المادة، التي تتجلى عند أفلاطون وأفلوطين كآخر بامتياز (autohe terotés) في عينة الحداثة ،يمكن ان نجد بأن إنتماء مقولة الغيرية لحيز التأملات الميتافيزيقو-تيولوجية قد تم تأييده عند "نيكولاي كوز" في أفلاطونية المسيحية « عندما بسط بطريقة منتظمة كل طبقات القطبية الطائلة للواحد المتعالي le un transcendant والذي يقصد به الإله، يعرفه كوزان بالآخر (le non-autre-non-aliud) وصولا إلى الغيرية الكامدة للمادة ».[1]

5 - الغيرية عند الجابري :

عرف الجابري الآخر أنه: «مفهوم منطقي مرتبط بمفهوم الهوية في الفلسفة اليونانية، أما الآخر بالمفهوم المعاصر والمفهوم الإيديولوجي، والدليل على ذلك هو أن ثقافتنا التي عمرها خمس عشر قرنا لا يوجد فيها هذا المفهوم، وحتى مصطلح "الآخر" مصطلح غير صحيح لغويا (بالعربية) إذ لا تدخل (ال) التعريف على آخر، ما هو موجود في العربية هو

[1] - جان غرايش ،(الغيرية: مقولة أخلاقية)، الغيرية، الآخر، مقولات التحاوروإمكانات اللقاء، العدد2، السداسي الأول 2007، ص28.

"غير" لكن بدون (ال) التعريف "الآخر" كما هو اليوم في خطابنا المعاصر مفهوم حديث ومترجم بصيغته ومعناه وبالتالي فهو منخرط في التفاعل الثقافي الموجود الآن».

حيث توجد مصطلحات أخرى سادت الثقافة العربية مثل كلمة "عجم" مقابل "العرب" حيث أن هذا الاستعمال تمييزي فقط وكل أمة كانت تسمي ما يقع خارجها للتمييز باسم خاص، فالرومان كانوا يسمون غيرهم "بالبرابر" واليهود كانوا يميزون أنفسهم بوصف الشعوب الأخرى "بالأمم" ...إلخ، واسم العجم كان من هذا القبيل ولم تكن فيه قصدية استغلالية، فعندما يقرر ابن خلدون مثلا أن علماء الإسلام كانوا كلهم من "العجم" فهو يقوم بمعاينة للواقع لا غير.

حيث يشير الجابري إلى أنه لايوجد مفهوم "الهوية" في الفلسفة الإسلامية، ذلك عندما نتحدث عن مفهوم "الآخر" فهذا يعني أن لك مفهوما للهوية، فالمفهوم الذي كان سائدا مفهوم منطقي، وكلنا يذكر مدى القلق الذي عبر عنه الفارابي في "كتاب الحروف" الذي يوازي بعد الطبيعة لأرسطو وهو يحاول إيجاد مقابل بفعل الكينونة في اللغة العربية أما لفظ "الآخر اليوم" فهو مفهوم ايديولوجي، وقد عرفت ثقافتنا أسماء أطلقها على "الآخر" فقط بتمييز وليس انطلاقا من خلفية فلسفية [1].

[1] - نعيمة حاج عبد الرحمن، الأزهري ،ريحاني ،(ليس في ثقافتنا مفهوم للآخر وحوار الثقافات شعار ظرفي)، الغيرية، الآخر، مقولات التحاور وإمكانات اللقاء، العدد2، السداسي الأول 2007 ،ص65.

الفصل الثاني

تجليات الأنا والآخر في رواية "كتاب الأمير" لواسيني الأعرج

1 -صانع الوقائع التاريخية (الأمير عبد القادر):

هو العنصر الأصيل في بنية المتن، و ذلك بفضل الصدمة التي أوقعها تاريخيا في ذات الأخر الذي لم يكن يتوقع أن يجد مثل ذلك الوعي النضالي في الريف المشبع الأول والأخير من العزلة والتهميش المسلطين على الذات الجزائرية من السلطة الغازية ، ويكمن عمق التجربة التراجيدية لوقائع الأمير عبد القادر في كونه كان يعيش فكرتين جوهريتين أولاهما وجوبا عينيا لمواجهة الغازي المحتل المدجج بأرقى ما وصلت إليه حضارة الغرب من أسلحة مع ترديده بين الفينة والأخرى « ..إيماننا وحده ليس قادرا على تدميرهم ...» أما ثانيتهما فتشكل من ذلك اليقين بأن الذات الجزائرية المهيمن عليها الفكر والسلوك القبليين في حاجة ماسة إلى وعي حقيقي بمقتضيات العصر ومتطلبات الدولة الحديثة وذلك من خلال قوله لمونسينيور ديبوش: «... إن الحرب التي كنا نخوضها كانت قاسية، وهي حرب كان الوقت سيدها الأول ...» ومن خلال ما كان يعانيه من خذلان وخيانة من بعض القبائل والأفراد وكذا من بعض سلاطين الإسلام [1]، لذا فقد كان الهدف الأسمى والأشمل لعبد القادر هو جعل عرب الجزائر شعبا واحدا، ودعوتهم للمحافظة التامة على دينهم لبناء مجتمع الحرب والسلم، ولدعم اقتصاد الحرب بزيادة الإنتاج في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة، ولم يكن الطريق ممهدا واصطدم بعقبات كثيرة،غير انه تابع بدل جهوده بدون كلل أو ملل لإيقاظ الشعور الديني للعرب وتوحيدهم وتوجيههم نحو هذا الهدف (الجهاد في سبيل الله ضد الغزاة، أعداء الدين والوطن)، ومن أجل ذلك فقد قام منذ البداية على تنظيم التعليم العام ونشره بين القبائل [2] فالأمير عبد القادر في التاريخ الجزائري شخصية عظيمة لها المكانة والأهمية ما دفع بالكثير من الروائيين والدارسين إلى إدراجها بالدرس والتحليل، وهو يعد أول مؤسس للدولة الجزائرية ولولاه لما كانت تلك الثورات الشعبية ولما وجدت الحركة الوطنية التي فجرت الثورة التحريرية فهو القائد الذي بويع سنة 1832م، وهو القائد الذي عقد معاهدة مع " الجنرال دو ميشال " سميت باسم هدا الأخير عام 1834م، وواجه تريزل عام

[1] -د.بشير بويحرة محمد: الأنا الأخر ورهانات الهوية في المنظومة الأدبية الجزائرية، منشورات دار القدس حي باهي اعمر ألسانيا، وهران ،الجزائر، د،ط،2007، ص163 .

[2] - بسام العسيلي، الأمير عبد القادر الجزائري، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2010، ص57 .

1835م، وكان النصر حليفه وذلك بجيش تكون من 200 من المشاة و 1200 نفر من القبائل المحاربة [1] .

وبالرجوع إلى الرواية نجد أنها أغلقت العديد من الجوانب الخاصة بالأمير فبالنسبة لملامح الشخصية الظاهرة فقد جاء وصف الأمير عبد القادر في الرواية كما يلي: « لم يكن يبدو على وجهه ألفه المعتاد كأنه قادم من معركة هزم فيها ولم ينتصر، ولم تعكس عيناه الزرقاوان مياه وادي الهبرة، والسهول المحيطة بقصر الباي »[2] .

وبذكر كل هذه الصفات لابد أن نذكر إلى أهم ملمح نسب إلى الأمير و هو نزعة التصوف التي كانت تطبع حياته وقد بدأ من خلال حفظه للقرآن وهو صغير ثم سجنه بفرنسا، ويرى بعض الروائيين أن ملامح شخصية الأمير لا تكتمل إلا بالتعرض لجانب التصوف في حياته، الذي كان الطابع المميز له، وتجدر الإشارة إلى أن هذه النزعة تغلغلت في نفسه أكثر أثناء سجنه في فرنسا (واعتزاله والزهد)، وكذلك بعض التصوف في داخله عند تحوله إلى دمشق، وانقطاعه عن الناس والتفرغ لمطالعة كتب التصوف وبذلك نمت فيه هذه النزعة أكثر وأكثر ونذكر من ذلك المثال :« سنجد ساكنا في خلوته، يعذر حتى الدين تسببوا في عذابه الكبير، مسلمين كانوا أو مسيحيين ...»[3] .

« الأمير دخل في حالة صمت وتأمل وتعبد وعزلة....»[4].

وشخصية الأمير هي شخصية فريدة من نوعها، حيث اجتمعت فيها كل صفات الرجل السياسي ورجل الدين، والرجل الاجتماعي ...الخ، إلى جانب القيم الإنسانية المنبثقة من زهده وتصوفه وتأمله في الحياة بأحزانها وأفراحها .

2 - الأنا العربية المسلمة:

المتأمل في سيرة الأمير عبد القادر يجده يجسد الأنا العربية المسلمة على نحو يعكس اعتزازه بهذه الهوية والخوف على خصوصيته التي تميزه وتحفظه من الضياع مثلما

[1] - واسيني الأعرج: كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد، منشورات الفضاء الحر، الجزائر د،ط 2010، ص.139
[2] - لمصدر السابق ص 41 .
[3] - المصدر السابق ص 41 .
[4] - المصدر السابق ص 367 .

تشكل حافزا له لمقاومة الأخر المستعمر لهذا لا يستغرب رغبة هذا الأخر في القضاء على هويته ،حتى بعد أن سلم سلاحه، وعاش أسيرا في فرنسا، فكأنه يرغب في تخليصه من أهم مكونات شخصيته كي يستطيع القضاء على ما يمكن أن يثير قلقه في المستقبل لهذا وجدنا الكولونيل دوما يقول له مستغربا :« لم تغيرك فرنسا كثيرا وهي كانت تحلم أن تجعل منك مواطنا من ذويها ».

يستغرب المستوطن هنا كيف حافظ الأمير على هويته على الرغم من مدة أسره الطويلة، كما يستغرب إصراره على الرحيل إلى بلد إسلامي الأمر الذي ينسجم وإحساسه بخصوصيته، مما يجعله يتأكد أن سنوات المعانا ة لم تغيره فلم يهنأ له العيش في بلد جميل كفرنسا [1]

يقول له"بيجو" صراحة: « أتمنى أن تصل إلى قرار تبني فرنسا كوطن لك، وتطلب من الحكومة أن تمنحك أنت وأهلك قطعة أرض غنية، وستكون لك حياة مساوية لحياة أي مواطن فرنسي محترم، اعرف أن مقترحا مثل هذا قد لا يغريك كثيرا، ولكن فكر في مستقبل أبنائك وحاشيتك، أنت ترى أنهم يموتون يوميا مللا وكمدا >[2] .

نجد هنا دعوة صريحة للأمير أن ينبذ هويته التي تعني التصاقه بأرضه وبموروثة الثقافي، ليتبنى هوية الأخر الفرنسي ويستقر في أرضه .

فالأمير عبد القادر قبل ذلك وبعده، إنسان مسلم، لا تأخذه الأهواء ولا تحركه ردود الأفعال، وإنما ينطلق في كل ممارساته من قاعدته الصلبة، قاعدة الإيمان بالله، وبما انزله على رسوله صلى الله عليه وسلم وقد كان هذا الإيمان هو زاده في رحلته الشاقة، وهو عونه فيما جابهه من صعوبات وأزمات تعجز عن حمل أعبائها همم الرجال وتقصر عنها عزائم الأبطال[3] .

[1] - د، ماجدة حمود، إشكالية الأنا الآخر، نماذج روائية عربية، عالم المعرفة، الكويت، 2013، ص231.
[2] - الرواية ص 473 .
[3] - - بسام العسيلي: الأمير عبد القادر الجزائري، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2010، ص8 .

3 – الأنا المتسامحة :

شخصية الأمير هي شخصية فريدة من نوعها اجتمعت فيها كل الصفات الإنسانية والقيم النبيلة (الحرية، العدل، الحق، التسامح ...)، فقد كان الأمير إنسانا متسامحا مع الجزائريين وحتى مع الفرنسيين فمثلا: كان متسامحا مع قاضي ارزيو الذي اعدم، فقد كان يرى بأن هناك حلا وسطا بقوله " كان الله يرحمه، أستاذي ومرجعي في الفقه خسارة كبيرة، ألم يكن هناك حل شرعي اقل سوءا من الإعدام، الله رحيم لا توجد فقط حلول الإعدام، التعزيز مثلا يمكن أن يعلم الناس" [1].

وكون الأمير متسامحا ،جعل من هذا المبدأ عقيدة له في الحرب والسلم، وهي صفة ظلت لصيقة به كامل الرواية، وعلى الرغم من أن التاريخ أقرب باحتكاكه بالقس مونسنيور أسقف الجزائر، فالتاريخ لم يصور لنا معاناة الأمير وانكسار الثقة بداخله من طرف أبناء بلده، وهو يتلقى صفعات الخيانة الواحدة تلو الأخرى، وارتداد القبائل الذي لا ينفك يتوقف، كما انه لم يصور لنا الأمير كأي شخصية في رواية أو قصة بأنه يعيش بين ذويه وأحبائه، يفرح ويحزن ويحب ويكره، يغضب ويعفو، بل ذهب إلى أبعد من ذلك واصفا إياه بالرجل القوي الذي دافع عن بلاده حتى من وراء المنفى وتعلقه الكبير بالأمة و الوطن، وبالرغم من الخسائر التي لاقته فان واسيني الأعرج يؤسس لوعي التجاوز ينكشف ذلك من خلال سماحة الأمير رافضا لأي شكل من أشكال العنف خارج نطاق شرعية الحرب المستمدة من خلفيته الدينية خاصة فيما يخص التعامل مع الأسرى .

ولنا أن نقول في الأخير عن هذه الشخصية الكبيرة وعلى غرار كل تلك الصفات التي أنسبت إليه، انه شخصية مقاومة ففي الرواية جسد لنا واسيني الأعرج الأمير تلك الشخصية المتسامحة التي ضحت لسنوات لبقاء راية وطنه عالية في السماء، كما انه كان يدعو للسلم والسلام في تعامله مع الأخر ومن هذا يمكننا القول بأنه أعظم رجل جزائري لأنه أول من قام بالثورة ضد المحتل، فخير رجل لخير وطن .

[1] - واسيني الأعرج: كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد، منشورات الفضاء الحر، الجزائر د،ط 2010، ص 61.

4 – الأنا المقاومة :

يعمل الروائي واسيني الأعرج في هذه الرواية على إعادة بناء التاريخ الصامت للأمير عبد القادر الجزائري، الذي قام بمقاومة أولى موجات الاستعمار الفرنسي، وأخذ منفيا لفترة طويلة في فرنسا، قبل أن يتم ترحيله لاحقا إلى المشرق العربي تنفيذا لاتفاق عقد مع الحكومة الفرنسية التي تلكأت في تنفيذه طويلا، ويقدم مشهدا واسعا للجزائر قبل الاستعمار وما خلفه ا لوجود العثماني في الجزائر من رواسب ، حاول الأمير بناءها قبل أن يفاجئه الفرنسيون بخططهم الاستعمارية، يقوم بالبناء الصامت في سيرة الأمير عبد القادر فهو لا يؤسطر حياته بل يعيد وصله بيوميات صعبة وحقيقية بشكل جارح، والى حقائق القوة التي لا تكفي لقهرها شعارات النضال ضد المستعمر الكافر، فهده الرواية ترصد تحولات حياته أثناء قيادته مهمة مقاومة الفرنسيين والمحافظة على دولة تنتقل على الخيام التي يحملها في حراكه المستمر في أرجاء الجزائر، بعدما دمر الفرنسيون عواصمه الواحدة تلو الأخرى.

ينكشف عبر الرواية شكل الدولة الجزائرية التي كان يريد الأمير إقامتها، العلاقات السياسية المتوترة مع السلطان المغربي والقبائل المتمردة التي تحترف السلب والنهب والغزو والتي أراد الأمير تمدينها، وكيف أدار العلاقات مع القوى الأوربية أثناء مفاوضاتها وصراعه السياسي مع الفرنسيين، قبل دخول الأزمة بينهما (مرحلة اللاعودة)، ولهذا فقد استعرض واسيني مقاومة الأمير ضد الاحتلال من جهة، وضد القبائل المرتدة من جهة أخرى، واشتدادها مع وصول "بيجو" إلى الحكم وتدميره لجمع عواصم دولة الأمير من "مليانة" إلى "معسكر" إلى "تاقدامت" ما أجبر الأمير على التحرك ليستقر نسبيا بدولة "الزمالة" التي اجتاحها الدوق "دومال" ودمرها كليا، وبذلك بدأت المأساة الحقيقية للمقاومة، مع استنفاد كل المسالك خاصة بعد انقلاب السلطان المغربي ضده لمحاربته وتسيير جيشه للقضاء عليه .

وبعد استسلام الأمير، انتقل وحاشيته إلى "طولون" على متن سفينة "الأصمودي"، حيث نقل إلى قصر "أمبواز" في خضم الأوضاع السياسية التي كانت تعرفها فرنسا آنذاك، والتي أدت إلى تنحية الملك عن الحكم ما دفع المسؤولين الجدد إلى التنكر لكل التعهدات المقدمة إلى الأمير، ولهذا فالأمير رمز حضاري واجتماعي في الذاكرة الجماعية للمقاومة

والدولة والتصوف ،قضى في السجن أياما مليئة بالحزن والأسى، بعد نضال دام أكثر من خمس عشرة سنة لاقى فيه من المعاناة والخداع من العرب وغير العرب النصيب الأوفر[1].

5 – الأنا الإنسانية:

تكرست مكانة الأمير عبد القادر بصورة نهائية عميد ا للأبطال ورمز ا للمجاهدين الجزائريين، الذين قدموا ما بوسعهم تقديمه في سبيل الحرية، وعزة الوطن، بل قد أصبحت حركة الأمير وتجربته الجهادية رأس المقاومات الوطنية الكفاحية التي خاضها الشعب الجزائري، دفاعا عن الاستقلال والسيادة[2].

لهذا فقد دأب الأمير طيلة حياته يستخدم عبارة "عباد الله" الأصلية التداول في اللغة العربية الإسلامية، ولم يسعه أن يستخدم عبارة حقوق الإنسان، إلا كنتيجة تثاقفية على إثر احتكاكه بالغرب وإقامته في بلادهم كما أن نظرته للإنسانية ظلت نظرة اعتبارية رحيمة لا شائبة فيها، من عنصرية منتصرا أو منكسرا، فهو يرى في المخلوقات البشرية عباد الله ولا غرابة أن نجده يعرب في نقاشه مع القادة المحتلين عن مشاعر المشاركة الإنسانية وعن تلك الروح التي استحكمت فيها قناعتها لتقاسم المكاسب، بل وحتى الممتلكات متى كان الوازع إنسانيا، لهذا فواسيني يقدم في متن هذه الرواية رؤية عن التلاقي الحضاري، رؤية تحمل القابلية على اتفاق البشر على حدود معينة للتعايش الكريم، في ظل السلم، من أجل ذلك رأيناه في تأسيسه للحوار يستلهم الإمكانات، وفي عرضه الحروب والصراعات يستبعد الإفرازات السلبية الآيلة إليها.

مثلت أخلاق الأمير وقيمه الإنسانية مقوما حفلت به الرواية ، عكست غرضه الأسمى أن تعيش المجتمعات في وفاق تام، بعيدا عن الأحقاء والتطلع إلى استشرا ف علاقة جديدة مع الآخر، يقول الأمير مخاطبا مصطفى بن التهامي :« كل ما بنيناه عن فرنسا وأوربا كان في جوهره غير صحيح، كنا نظن أنفسنا الوحيدين الذين ينظر الله إلى وجوههم

[1] - ماجد، المذحجي، (التاريخ يتكلم باسم عبد القادر الجزائري، كتاب الأمير لواسيني الأعرج)، الحوار المتمدن ، العدد 1394، 2005، 12:43 .

[2] - المصدر السابق ص 520 .

يوم القيامة (...) العالم بالشيء يا سي مصطفى تغير وتغير كثيرا، أو نحن على حافة قرن كل شيء فيه يبدى لنا على حقيقته»[1].

فالأمير كان دائما إنسانا متسامحا وإنسانيا في تعامله مع الآخرين، وقد أعطى لنا الروائي واسيني الأعرج مثالا عن ذلك بشأن المرأة التي لجأت إلى مونسينيور ديبوش من أجل إطلاق سراح زوجها السجين عند الأمير عبد القادر، ولكن الأمير وبحكمته المعتادة أرسل خطابا لمونسينيور يقول فيه: «أعذرني أن أسجل ملاحظاتي لك بوصفك خادما لله، وصديقا للإنسان كان من واجبك أن تطلب مني إطلاق سراح كل المساجين المسيحيين الذين سجناهم مند عودة العرب مند فسح اتفاقية تافنة، ليس سجينا واحدا كائنا من يكون وكان لفعلك هذا أن يزداد عظمة لو مس كذلك سجناء المسلمين الذين ينطلقون في سجونكم، أحب لأخيك ما تحب لنفسك » [2]. إن توالي هذين الملفوظين مترادفين يعد لفتة من واسيني عن وعي وتقصد يهدف من ورائه إلى جعل صورة الأنا المنمطة في ذهن الآخر تتلاشى وتحل محلها صورة أكثر نبلا وسماحة فالمرأة المسيحية تنظر إلى العربي على أنه مجرد من كل إنسانية وهذا ميل متغطرس إلى الرفض والاحتياط الحاد منه والتقوقع داخل التصورات الجاهزة والمسبقة، فالتعامل الإيجابي مع الآخر متجدر في مرجعية الأمير إذ يكشف عن البعد السلمي في فلسفة الجهاد الإسلامي قائلا:« الجهاد أن ترفع سيفا عندما تنغلق في وجهك سبل السلم ديننا يقول إذا جنحوا للسلم فاجنح له ...الجهاد أن يتعلم الإنسان باستمراره أنه جاهل كلما تقدم الزمن»[3].

هذه الأخلاق السمحة جعلته مقدسا حتى عند الغربيين يقول الكابتن دوسانت هيبوليت: « الأمير رجل مدهش، صوفي وضعية أخلاقية لا نعرفها كثيرا في أوربا، رجل زاهد في أمور الدنيا ويظن أنه موكل من طرف الله بمهمة حماية لرعاياه، حلمه ليس الحصول على مجد، والهدف الشخصي ليس من مهامه وحب المال لا يعنيه أبدا، ليس ملتصقا بالأرض إلا وفق ما يمليه عليه الله فهو أذاته »[4].

[1] - المصدر السابق ص50.
[2] - المصدر السابق ص50.
[3] - مصدر سابق ص 120.
[4] - المصدر السابق ص.130

ولا ننسى مونسيور ديبوش وعلى الرغم من أنه رجل مسيحي، إلا أنه كان من أشد المقربين إلى الأمير عبد القادر مع أنه رجل مسلم، فصداقتهما كانت أقوى، فقد كان مونسيور متعلقا جدا بصفات الأمير وشخصيته المسلمة التي تدافع عن دينها بشتى الطرق ومن أمثلة ذلك :

شعر مونسيور ديبوش بامتعاض كبير قبل أن يدخل إلى الدهليز الضيق المؤدي إلى الحجرات التي يحتجز فيها الأمير وعائلته.

عندما تجاوز العتبة، رأى صفاءا خاص ا يشبه صفاء الإنسان المقهور المنكسر. عندما دخل عليه أشرق وجه الأمير وصار صافيا فجأة من أين يأتيه كل ذلك النور، تساءل مونسيور وهو يحاول أن يفتش عن الغيمة التي كانت تتخفى وراء ابتسامات الأمير الهاربة ووقاره المتجلي عميقا.

الأمير عندما عرف بمجيء ضيفه، وكرمز على احترامه لبس الجوارب ونعلا جلديا لاستقباله، عانقه طويلا قبل أن يسحبه من يديه باتجاه الزاوية في المكان الذي تعود الأمير أن يجلس فيه[1].

وبهذا تتشكل صورة الأمير المتطلعة إلى المستقبل، الراغبة في تكوين علاقات إنسانية، لا تشوبها المصالح الشخصية الهادفة إلى الدمار والحروب، فهو ينطلق من قاعدة مفادها أنا عباد الله ويجب أن نكون تحت خط المساواة بعيدا عن الاختلافات كالتخلف والتقدم القوة والضعف، وغيرها فالمطلوب هو الفهم والاحترام المتبادل .

ولا ننسى كذلك بالإضافة إلى هذا كله أحد المسيحيين وهو يصف الأمير بقوله: «تجده ساكنا في خلوته، يعذر الذين تسببوا في عذابه الكبير مسلمين كانوا أم مسيحيين، ويعزي كل ذلك إلى الظروف القاسية التي تسلط فجأة على الأفراد والجماعات، بزيارتكم لهذا الرجل النبيل والاستثنائي الشخصية ستضيفون عملا إنسانيا جديدا إلى ماز خرت به حياتكم »[2] .

[1] - المصدر السابق ص42.
[2] - المصدر السابق ص41.

كان هذا خير دليل على إنسانية الأمير التي سادت جميع البقاع والتي اعترف بها العربي والغربي، وكتبت على صفحات من ذهب .

6 – الأنا الخاضعة:

إن هدفنا من التطرق إلى هده النقطة هو الإجابة على هذا السؤال، هل يحق للروائي تجميل صورة الآخر وتهميش صورة الأنا وجعلها تحت لواء ذلك الآخر المتغطرس؟

من خلال قراءتنا لكتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، وجدنا أن واسيني الأعرج أغفل العديد من جوانب الأمير المهمة، وهو الرجل الذي صدع أمة بأكملها، فنجده في العديد من المواقف التي تعرض لها مع القس المسيحي مونسيور ديبوش، يجعل من الأمير ذلك الشخص الخاضع المحتمي بقناع الإنسانية، صحيح أن خصال الأمير عبد القادر تنم عن صدق واحترام في تعامله مع الآخرين لكن هذا الأمر لا يعطي الحق للروائي لأن يصوره بهذا الشكل المنهزم والمنكسر والضعيف متقبلا للآخر مهما كانت ديانته وصفاته برحابة صدر يقول مخاطبا مونسيور ديبوش :« لو تعلم يا مونسيور فأنا أفضل أن أراك فارغ اليدين ممتلئ القلب على أن أراك مليء اليدين وفارغ القلب، اطمئن فأنا لا أعني من كلامي إلا الخير الروحي، ما عداه الله وحده يملك الإجابة عنه.

- أتمنى أن يسمع الله دعواك، فأنا مثلك لا أتمنى إلا ذلك .
- كل هذا لا يمنع الإنسان أن يبث شكواه ومظالمه ولكن بهدوء وسكينة بصدق وأمان بحسب مقامات الناس الذين يجاورونا كم أشتهي أن أحدثك عن كل ما يجمعنا، بدأت أقرأ كتابكم الإنجيل، وفي فترة إقامتك بجانبي، أتمنى أن تسمح لي بمساءلتك عن بعض القضايا الغامضة، لم تتح لي الحروب والتنقلات المستمرة إلا قراءة شذرات صغيرة هنا وهناك، لكن هده المرة أنا مصمم على قراءته كاملا وفهمه إن أمكن سادتنا القدماء فعلوا مثل هذا الأمر دون أن يختل إيمانهم .
- الإيمان في القلب ،وما في القلب لا يعلمه إلا الله، أنا مستعد من كل قلبي لأسئلتك.
- متيقن أن قلبك لن يتوقف عن فعل الخير، حدثني إدا كأخ ولا تقلق من أخطائي، فالنية الطيبة هي سيدة السؤال والمقصد.

- لك كل المحبة التي تقربنا من بعض حتى ولو اختلفنا لتستقر روحنا في نفس الحقيقة الإلهية الكبيرة[1].

الصداقة التي جمعت الأمير مع مونسيور ديبوش، جعلت منه دلك الضعيف الذي يكرس نفسه لخدمة الآخر، في سبيل ما يسميه الإنسانية، حتى أنه طلب منه أن يعرفه على الإنجيل الذي هو بعيد كل البعد عن عقيدتنا الإسلامية، فهو يصر أشد الإصرار على معرفته يقول: « روحك أنت غالبة علي، ومستعد أن أمنح دمي لإ نقادها، امنحني من وقتك قليلا لأتعرف على دينك وإذا اقتنعت به، سرت نحوه .»[2].

هدا الكلام أثار في نفس مونسيور الدهشة ما جعله يرى :« أن هذا الرجل لو امتلكته الكنيسة في صفها لتحول إلى قوة كبيرة لمواجهة كل الخيبات والانتكاسات»[3].

فهذا الإلحاح والإصرار على قراءة الإنجيل، وطلبه من مونسيور أن يبحث له عن كاهن معرب يشرح له تفاصيل هذا الكتاب جعله يستنجد بالقديسين النصرانيين: « عندما هم مونسيور بالمغادرة اقترب منه الأمير: قل لكل من تلقاه من القديسين والنصرانيين أن يدعو لي لكي يغمرني الله بنوره ويفك كربتي وأسري »[4].

فكأن الأمير هنا يعتقد أن هؤلاء المسيحيين على حق خاصة وأن الأمير عانى أزمات كثيرة من طرف القبائل العربية التي خانته فوجد في القس المسيحي مونسيور الرجل الأمين، الصادق الذي يأتمنه على أسراره :« هناك، في أقصى درجات الألم، نفس واحدة لا تغادرنا، تظل معنا في احلل الظروف وأصعبها، توأمنا في لحظات العزلة والبرودة والخوف يا مونسيور ،ظل جون موبي الطيب بجانبك ولم يتركك حتى عندما خيرته وظل معي ابن التهامي وآخرون حتى اللحظة ،في وقت تخلى فيها عنا الكثير من الأحباب واحد في القلب أكثر من مائة على اللسان فقط »[5].

[1] - المصدر السابق ص42-43.
[2] - المصدر السابق ص45 .
[3] - المصدر السابق ص44 .
[4] - المصدر السابق ص45.
[5] - المصدر السابق ص368.

تلك الحوارات التي دارت بينهما، جعلته يرى أن ذلك الآخر نعم الصديق ونعم الرفيق بعد ان لاقى من العرب الالم والخدلان يقول «أفضل أن اسلم نفسي لعدو حاربته وانتصرت عليه في الكثير من المعارك وقبلت هزائمه، على أن أقدم رأسي لمسلم خانني وقت الشدة».

فهده الأحداث وغيرها جعلت من الأمير خاضعا لدلك الغربي الظلم والمستبد الذي ظل يقاومه مدة 15سنة ،فواسيني جعل من شخصية الأمير ضعيفة،خاصة عندما صور لنا حالته في سجن أمبواز،كان يائسا من أن يرى ضوء الشمس مجددا، على عكس الآخر الذي كان متأملا بخروجه من السجن ويعمل المستحيل من أجله ومن أجل حريته

7 –شخصية مونسنيور انطوان ديبوش:

بالعودة إلى الرواية نجد أن واسيني الأعرج اعتبر القس" مونسيور ديبوش" طرفا رئيسيا مع الأمير عبد القادر، وقد أخد حيزا كبيرا من الرواية فهو عضو فاعل في هندسة الأحداث السردية وصناعة الوقائع التاريخية إلى جانب الأمير ويتقاطع معه في العديد من الأحداث، رغم الاختلافات الموجودة بينهما، فدلك مسيحي والآخر مسلم، بالإضافة إلى أنه الفضاء الذي نقوم فيه معظم الحوارات الموجودة في الرواية تلك الحوارات الإنسانية التي قام بها الأمير عبد القادر في سجنه بقصر أمبواز، فقد كان من أشد المعجبين بشخصية الأمير، وهذا ما دفعه للتجاور معه في العديد من القضايا منها قضية المرأة ،التي جاءته في ليلة باردة وموحشة تستنتجده لإخراج زوجها الضابط من السجن، وهذا ما جعله يقول عن الأمير "...ما سمعته من الأمير جعله يكبر في عيني أكثر...ويبدو أن الأمير من صنف أخر "[1].

فالقس المسيحي يقدس شخصية الأمير ويعتبرها فريدة من نوعها، فواسيني الأعرج صور لنا هده الشخصية العدائية والتي تعتبر آخر بصورة إنسانية يغلب عليها الطابع الأخلاقي، فهده الشخصية لم تحصر نفسها في إطار التاريخ فقط (زمن الهزيمة والنصر)، وإنما راح يتأمل في قضايا الوجود، وحقيقة الإنسان، ممتلكا القدرة على رؤية الآخر على حقيقته، فتزداد الرغبة لديه بمواصلة المسير نحو كشف الحقيقة، وقد أفنى شطرا من حياته وهو يدافع عن الأمير في سجن أمبواز، فقد كان يخيره دائما أن الأمل دائما موجود ولابد من خروجه، وتحقيق الحرية له، فحقيقة الأمر أن مونسيور كان منبهرا جدا بشخصية الأمير،

[1] - المصدر السابق ص90.

وعندما تعرف عليه وحاوره كثيرا أدرك أنه لا مثيل له، وأنه يحكم بالعدل ولا يقبل الظلم والخيانة، يقول محاورا خادمه موبي: « تعرف يا عزيزي جون، الناس الكبار عندما يصلون إلى درجة عليا من نكران الذات تنتقي تماما أنانيتهم، أرأيت كيف كان يحكي عن دوميشال ؟.

طبيعي لم تعد بينهما حرب، لقد انتهى كل شيء.

لا ياجون الأحقاد تشتعل أكثر خصوصا عندما تنتهي الحروب بمنتصر ومنهزم، ومع ذلك فالأمير يملك القدرة الكبيرة على تأمل كل شيء يبصر وبعد نظر»[1].

هذه النظرة جعلت من القس المسيحي لا يتوانى عن الدفاع عن الأمير وإخراجه من السجن، فقد كان لا ينام الليل وهو منكب على طاولته « فتارة يلملم أوراق جريدة المونيثور التي كانت تملأ طاولته وسريره المتواضع والرسائل الكثيرة التي وصلته من الأمير أو من الناس القريبين منه »فلم يكن يستهويه شيء سوى كسر الحاجز المظلم عن الأمير، يقول لجون موبي « أرأيت ماذا فعل هذا الرجل من أجل الجميع يجب أن يخرج من هذا السجن، المفروض عليه في هذا القصر المفرغ من كل الحياة، لقد وعدوه وما عليهم إلا أن يوفو بعهودهم، الأمير لا يتعلق بشرف أفراد بل بشرف أمة بأكملها» [2] .

إذن فشخصية مونسنيور كما صورها الروائي، شخصية منفتحة على الآخر، محبة لعاداته وتقاليده المختلفة، هدفه تحقيق العدالة، فهو يغدو بفضل الذات الجزائرية ولا يفصلها عن الذوات الإنسانية الأخرى مهما اختلفت الأجناس حبه للجزائر كان عميقا خاصة وأنه عاش هناك ثماني سنوات كاملة تعود على تقاليدها حتى أنه نقلها معه حينما عاد إلى فرنسا « كلن بخاره صاعدا ورائحة النعناع المنبعثة منه تملأ المكان، مونسيور كان يحب هذه الطقوس التي جاء بها من الجزائر، الثماني سنوات اللاتي قضاها هناك، صارت جزءا مهما من ذاكرته، إن لم تكن كلها »[3].

فالراوي هنا يحاول تمثيل الآخر لتقاليد الأنا الحضارية، من أجل إنتاج وعي مشترك بين الأنا والآخر، في خضم العلاقات الأخلاقية والإنسانية .

[1] - المصدر السابق ص91.
[2] – المصدر السابق ص 51-52.
[3] - المصدر السابق ص89.

فالأعمال التي قام بها القس مونسيور ديبوش من أجل الجزائر، جعلت منه أقرب شخص للأمير، يشكي له همومه وينصحه أوقات الشدة، حتى عندما نفي ظل على إتصال مع الأمير .

لا ضير أن هذه الشخصية مميزة، فطريقة تعامله مع الأمير وإنسانيته السمحة وشخصيته الفاضلة على النحو الذي صوره لنا الراوي ،جعلت منه صانعا من صناع التاريخ، ورمزا من رموزه، فعلى الرغم من أنه مسيحي، فقد كان له الفضل في إخراج الأمير من السجن من خلال اتصاله بنابليون بونابرت الذي ساهم بدوره في إخراج الأمير لحريته .

فقد مات ديبوش وهو يردد « ...افتقدت تلك الأرض (الجزائر) ولاشيء يهمني اليوم، إلا أن يلحقني الله بها ...» [1]، أجل كل هذه الأقوال ظل جون موبي شاهدا عليها، بل ظلت محفورة في ذاكرته، يقول أيضا عن الأمير «...هذا الرجل سيموت غريبا أحس بذلك ...سأسكن تلك الأرض بانتظار مجيئه ...فهو أقسم أن لا يعود لتلك الأرض لا كرها فيها ،ولكن متمسكا بالكلمة التي قطعها على نفسه >[2].

فشغف مونسيور بالجزائر، دفعه إلى طلبه أن يدفن فيها، فبعد موته أحضر جون موبي جثمانه إلى الجزائر، ودفن بها .

فالرواية أظهرت لنا الجانب الإيجابي من العدو المتغطرس صورته لنا متسامحا، محبا ،خلاقا ،يفني حياته من أجل مساعدة رجل مسلم، عندما خدعه العرب وابتعدوا عنه، فعل المستحيل من أجله بهدف تنفيذ جوهر الأديان السماوية وانتسابا لمرجعية الإنسانية التي تأبى الضيم والعبث بشرف الإنسان، فسفك دمه لأتفه الأسباب وتشعل الحروب من أجل أهداف وهمية، والرد على بعض الأفكار الدينية المتطرفة التي تدعو إلى تضييق مفهوم البعد الإنساني من جنس أو عرق واحد لا غير، يقول مونسيور في الرسالة التي بعثها إلى نابليون بونابرت :«عبد القادر مثل نابليون، متدين وهادئ وبسيط في ملبسه ومعشره، حيوي وشجاع وسيد نفسه، صادق وعبد لوعده، ولاشيء يفقده صوابه مثل الكذب والبهتان، مثل نابليون، متفان في خدمة عائلته ويمارس نوعا من السحر على كل من يقتربون منه (...)ومن ذا

[1] - المصدر السابق ص218.
[2] - المصدر السابق ص218.

الذي عندما ينتهي من قراءة هذا الكلام لا يصرح معي، أن عبد القادر اليوم رهينة مثله مثل المحارب العظيم نابليون »[1]. فالهدف هو تحقيق العدالة.

8 – الآخر العسكري:

الدارس لرواية الأمير لواسيني الأعرج، يدرك أن الروائي أغفل الجانب المتغطرس من هذه الشخصية، فقد أبعدها عن فضائها الحربي أي بعيدا عن ساحة المعركة، وهنا تبدو لنا رغبته في تجميل هذا الآخر الذي بدل الغالي والنفيس من أجل القضاء على شوكة الجزائريين، فهو صور لنا فقط الجانب الإنساني لهذا العسكري، بالرغم من الأعمال الوحشية التي قام بها من حرق للقرى، وسلب للمواشي، التعذيب والتنكيل لكن هذه الأعمال لم تحض بمشاهد تصويرية، إذ كان نصيبها السرد السريع فقط أو تقديمها عن طريق خبر في جريدة " أراد أن يكلم ليون روش ويسأله عن حماسه لحرق المدينة وعن المدة التي دام عليها الحصار، من 12 جوان حتى 2 ديسمبر، تاريخ رفع حالة الحصار، ثم حرق المدينة الذي انتهى يوم 12 جانفي 1839 ولكنه فضل أن يصمت، وواصل تأمله للحرائق التي زادت قوتها " [2]، لعل السبب في ذلك تحقيق تعاطف المتلقي مع معاناة الجزائريين، وما قد تثيره هذه المشاهد من كراهية لوحشية المستعمر، لهذا فقط أحاط المؤلف الأمير بشخصيات فرنسية منفتحة ومتعاطفة مع محنته، حين احتجز في فرنسا، مما دفعه في المقابل إلى الإنفتاح على حضارتها، وقد تبدي هذا الاحترام للأمير مصحوبا با الاهتمام به، فمثلا حين أبرم عقد أمان معهم، جاءه طبيب فرنسي تفحص ساقه المجروحة، ووضع عليها مساحيق ومراهم ولفها كي يمنعها من التعفن، ثم خرج معتذرا على الإزعاج، فالمؤلف هنا ركز على تلك المعاملة الراقية التي حضي بها الأمير في فرنسا، دون تركيز منه عن أولئك الذين حاولو الإطاحة به، يقول الجنرال ماربو ردا على "لبرانس دولا موسكوفا " الذي كان يحاول الدفاع عن الأمير عندما أراد تسليم نفسه: « يجب أن لا ننسى أن هذا الرجل الذي تدافع عنه اليوم، ذبح أكثر من 300 سجين فرنسي في يوم واحد، وإذا كنتم تعتبرون هذه الجريمة أمرا هينا، فاطلقو سراحه ومرغو شرف هذه البلاد في الأوحال» [3]. كما لا ننسى الإهانة التي

[1] - المصدر السابق ص 485.
[2] - المصدر السابق ص 246.
[3] - المصدر السابق ص 29.

تعرض لها من خلال نقله من مكان إلى آخر (القلعة، قصر هنري الرابع، قصر أمبواز)، وظلمة السجن التي لازمته مد خمس سنوات، كل هذه الأحداث وأكثر ألا تدل على غطرسة هذا الآخر، الذي كانت للروائي الرغبة في تبرئته لهذا يلجأ غالبا إلى جلد الذات واتهامها برفض المستعمر لأسباب كامنة في أعماقها (التربية، العقيدة) من دون أن يكون هناك أي علاقة لممارسة الآخر الوحشية في إشاعة جو من الكراهية والرفض، بل هناك جانب إيجابي فقط « تقدم الكولونيل مونطوبان من الأمير منحنيا له احتراما له، على رأس خمسمائة خيال، ثم أعطى أوامره لفيالقه أن تبتعد قليلا عن طريق الأمير وجنده، حياه تحية عسكرية ثم تركه يمر نحو جامع سيدي إبراهيم لتأدية الصلاة الأخيرة في هذا المقام كما اشتهى ذلك» [1]، من خلال هذه العبارة نجد أن الآخر كان مهتما كثيرا بالأمير وتحقيق رغباته، حتى الصلاة التي هي مدنسة لديهم ،خاصة وأن هدفهم القضاء على الهوية الإسلامية أو الدين الإسلامي ككل، فهل يمكن أن نعتبر ذلك الآخر الذي يجند ويوفر أعتاما عنده لتدمير هذه الذات وحرقها أن يكون بمثل هذه النزاهة والاحترام ؟، لا أظن ذلك لكن هذه حقيقة صورها لنا الروائي، لكن ما أنجزه الآخر فوق أديم الذات وما اجتهد في أن يبدع فيه من تسلط عليها بغية تركيعها، وما تبع كل ذلك من غبن وجوع وقتل وتدمير وحرق، سواءا كان ذلك قبل سنة 1830 أو بعدها باعتباره المحدث الأساسي لعناصر ذلك التقاطع الذي ساهم بشكل قوي في حالات التمرد على سلطان الأمير، وبسبب ممارسته الغبن والإقصاء والتهميش على القرى والمداشر، وحين تلذذ كلوزيل بحرق مدينة معسكر فوق رؤوس ساكنيها، وحين اعتبر الدوق دومال سقوط الزمالة نصرا مؤزرا « أكد الكولونيل يوسف مرة أخرى موجها كلامه إلى ولي العهد الدوق دومال ولامورسير اللذين كانا يتصيدان بعيونهم كل الحركات ويتشممان كل الروائح المنبعثة من الأمكنة الخفية عندما اعترضهم الوادي، وجدت الأحصنة صعوبات كبيرة لتخطي الخلجان الكثيفة والمياه التي كان يزداد علوها باستمرار على الرغم من أن الفصل كان ربيعا »[2].أو حين طاوعت نفس دوميشال حرق محاصيل الغرابة وسجن سكانها، أو حين عمد مع سبق الإصرار والترصد "بلسي" إلى حرق قبيلة كاملة ببشرها وغنمها وزرعها في جبل الظهرة «هي جريمة بلا شك ولكن يجب أن توضع بجانبها جرائم أخرى

[1]- المصدر السابق ص 420.

[2] - المصدر السابق ص294.

كتلك التي ارتكبها بليسي بحرقه في جبال الظهرة لقبيلة كاملة ببشرها وغنمها وزرعها، التاريخ لم نره في كليته يا مونسيور سنكون مصابين بسوء النظر والقصور البصري»[1].

بالرغم من كل هذه الأحداث فقد اجتهد الروائي واسيني الأعرج في تصوير أبعاد إنسانية للآخر العسكري، الذي ظلت جرائمه محفورة في ذاكرة كل جزائري حتى يومنا هذا، حيث أبعده عن ساحة المعركة التي قتل فيها شهداءنا الأبرار، الذين ضحوا بدمائهم من أجل تحرير أرضهم.

9 – الآخر المتفوق :

إن مبايعة الأمير على الإمارة، كان فعلا لم يكن من السهل عليه تقبله، لأنه كان في سن صغيرة من جهة، ومن جهة أخرى أحس بتفوق الآخر، وخاصة أنه بويع في الوقت الذي تخاذل السلاطين والخلفاء المسلمين عن نجدة وإغاثة الذات المسلمة الجزائرية: « ابتداء من اليوم كل شيء سيتغير، لسنا في حاجة إلى هذا البذخ لكي نحارب الآخرين، الانتصار على الغزاة صعب، يحتاج إلى أسلحة حقيقية، إلى الماء إلى زراعة مغذية نحتاج إلى تغيير حياتنا اليومية، نفكر كيف نصنع المدافع والأسلحة الحقيقية، والسفن بدل أن نكتفي بالتصليحات »[2]. فالأمير يدرك تفوق الآخر وأن تلك الأسلحة الهشة التي تعود الجزائريون على استعمالها أصبحت غير نافعة ولابد من التغيير، يقول لوالده :« يا أبي لا تجعلني أندم على إمارة لم أطلبها، حروب المسلمين القدماء لم تعد نافعة، الكلام لم يعد كافيا، كنا نظن أننا أفضل في كل شيء، وبدأنا ندرك أن الآخرين صنعوا أنفسهم من ضجيجنا الفارغ » [3].وهذا إن ذل على شيء إنما يدل على قوة الآخر وجبروته، الذي أعد العدة لمحاربة الجزائر التي ليس لديها سوى أسلحة هشة لا طائل منها: « يا شيخي كلامك كبير، ولكن الزمن تبدل وتبدلت معه السبل والوسائل، نحن على حوافي قرن صعب، إنهم يصنعون المدافع والبنادق والسيوف الحادة ونحن مازلنا نراوح أمكنتنا ونزهو كما أقمنا مقاما جيدا في سهل إغريس » [4]. فالذي أنجزه الآخر فوق أديم الذات وما اجتهد في أن يبدع فيه من تسلط عليها بغية تركيعها، من

[1] - المصدر السابق ص364.
[2] - المصدر السابق ص 82.
[3] - المصدر السابق ص 83.
[4] - المصدر السابق ص 84.

خلال ما ستعمله من أسلحة فتاكة ومتطورة، جعلت الأمير يدرك أن المواجهة أمام هذا العدو ليست بالأمر الهين، لأنه لابد أن يكون هناك تكافئ في العدة والعتاد يقول: «أتمنى أن يرزقنا الله وقتا لتغيير كل شيء (...) أسلحتهم فتاكة وأسلحتنا لم تعد كافية للدفاع عن أرضنا، موقعة وهران بينت لنا نقائصنا وقوتنا ويجب أن لا نتوهم، دوميشال ليس بوابيه، دوميشال أكثر ذكاءا وحساباته أدق »[1].

الاعتراف بقوة العدو ليس بالشيء الجيد، وذلك لا يكون إلا إدا أحس الأنا بضعفه وعدم قدرته على المواجهة، خاصة أن ذلك الآخر يعرف نقاط الضعف أو بالأحرى يتوهم معرفتها :« العرب هكذا، الأراضي لا تعني لهم شيئا مهما ولكنهم عندما يرون شخصا بدأ يهتم بها، تتغير قيمتها وتزداد أهميتها، لا تهتم سينتظم كل شيء مع الوقت، وتعرف كيف تجعل من الطيب القناوي صديقا يساعدنا على تدمير العدو المشترك: الأمير »[2].

فواسيني الأعرج يستعيد إلى الأذهان الفكرة التي استولت على الغربيين مدة طويلة من الزمن وهي أن العرب شعوب غير متحضرة، لازالت تسيطر عليها البدائية والهمجية وأن الغرب بثقافته وتقاليده ونظمه هو المتقدم والمتحضر، فلا مجال هناك للمقارنة بينهما، لأجل هذا حاول الأمير تجاوز هذه الفروقات والتغيير نحو مستقبل أفضل، لتفكيك الخطاب الكولونيالي والخطاب العدائي الذي كثيرا ما تردد على لسان المؤسسة العسكرية (بيجو ...دوميشال وغيرهم)، إن العرب أقوام متخلفة، لهذا فالأمير وهو يتكلم يبدي رغبته في التغيير من أجل تحطيم العالم القبلي من حوله إلى شظايا ليقوم بلملمة جزئياته من جديد وترتيبه على النحو الذي يتماشى والعصر، وهذا يدل على عجز الذات عن مواجهة الواقع والتعامل معه بصورة عقلانية، لأن الإمكانيات محدودة، حيث حبذ الأمير معنى المعاناة الحقيقية للفعل النضالي بعيدا عن الدعم والتأييد، وتحت تأثير حرقة نقص الوسائل الفعالة من عتاد وأسلحة وتموين واستقرار، عندما صور لنا الروائي المعاهدات التي جرت بين الأمير والقادة الفرنسيين، نجد أن الآخر غالبا ما يكون هو المسيطر على الأوضاع « أنهم يبحثون عن كل أسباب التراجع، عندما تقدمنا للحاكم العام بطلب حق سك عملتنا الخاصة وواجهنا بالرفض، ومنعتي دار لوسي من توريد 1000 قنطار من البارود و 1000 بندقية

[1] - المصدر السابق ص111.
[2] - المصدر السابق ص 332.

و1000 خيمة من القماش المصري مقابل القمح والشعير الذي أعددناه لتزويدها به، المشكل هو أنهم يرفضون ملحقات الاتفاقية التي تعطينا كل هذه الحقوق التي فاوضنا عليها بتعب واستماتة»[1] .

والواضح من خلال هذا أن الشعب الجزائري كان في تخوف كبير من الآخر المتخوف من أن يناقض العهود، يقول الأمير موجها كلامه لابن التهامي :« كل الخوف هو أن يتم اختراق الاتفاق وينكسر كل شيء قبل أوانه، لسنا مهيئين لحرب قد لا تكون مثل شبيهاتها، ترتيب الدولة إلى قليل من الاستقرار »[2].

فمن المعروف دائما أن الآخر غالبا ما يكون أقوى من الأنا المحتلة، لهذا تكون مهمة هذا الآخر في المواجهة صعبة وشبه مستحيلة، إلا إذا تسلح بالإيمان والثقة بالله، فتكون من نصيبه الهزيمة والانتصار.

[1] - المصدر السابق ص 109.
[2] - المصدر السابق ص 104.

ملحق

1 – ملخص الرواية :

تدور أحداث رواية الكاتب الجزائري واسيني الأعرج عن الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري في منتصف القرن التاسع عشر، وهي مع ذلك تتناول الوضع العربي الإسلامي .

يحرص واسيني الأعرج على وصف العالم الذي تدور حوله أحداث روايته بين الجزائر وفرنسا بدقة، تجعل القارئ واحدا من شخوص الرواية، فهو يصف المكان والأشخاص والمباني والشاي بالنعناع، الذي كانت أم الأمير لالة الزهرة تجيد صنعه، وتعلمه لأصدقاء ابنها جزائريين أو فرنسيين.

كما أن الكتاب كان يدقق كثيرا في الأحداث التاريخية، حريصا على الحقيقة دون زيف أو مجاملة، ومع ذلك فليس التاريخ، أو إعادة بناء فترة تاريخية معينة هي الهم الأول للمؤلف، إنه حاضرنا الآن الذي دفعه لاختيار هده الفترة بالذات من تاريخ الجزائر للكتابة عنها، إنها الفترة التي كان يولد فيها نظام عالمي جديد، قطباه انجلترا وفرنسا، الفترة التي بدأت تظهر فيها ثمار الثورة الصناعية في الحرب والسفر والصناعة والتجارة والفكر والطباعة، فترة تشبه حاضرنا، الذي بدأ يجني ثمار الثورة التكنولوجية، ويعيش تحت نظام عالمي جديد تحاول فيه الولايات المتحدة الأمريكية الإنفراد بالسلطة .

والفترة التي تتحدث عنها الرواية واصفة الوضع في الجزائر، لا تحتاج إلى مجهود كبير لإسقاطها على عالمنا العربي الإسلامي والراهن أيضا، بل إن اهتمام الكاتب بحاضرنا المعاصر هو ما جعله يختار عنوان الرواية "مسالك أبواب الحديد " أي السبل للخروج من السجن .

في السجن ثلاثة رواة وثلاثة روايات متداخلة .

أ – الراوي الأول هو الكاتب العليم الذي يروي قصة جون موبي الفرنسي خادم القس مونسنيور أنطوان ديبوش، أول قس للجزائر، حيث يفتتح روايته بجون وقت الفجر في مركب يملكه بحار مالطي ومعه تربة قبر ديبوش، وأثناء ذلك يحكي جون لهذا البحار قصة سيده مع الأمير عبد القادر.

ب – الراوي الثاني هو جون موبي: روايته عن سيده الذي ارتبط بعلاقة صداقة وأخوة عميقة مع الأمير عبد القادر، منذ أتته امرأة تستنجد به لينقد زوجها المسجون عند الأمير، أرسل له رسالة يطلب فيها تحقيق رجاء هذه الزوجة باسم الإنسانية، فيستجيب له الأمير بجواب لم يكن القس يتوقعها، بل ويعطي هذا الأخير درسا حقيقيا في الإنسانية، عندما يذكره أن الفضائل لا تتجزأ وأنه لا يمكنه إخراج سجين واحد دون الآخرين .

ت – الراوي الثالث: هو القس ديبوش وروايته هي قصة حياة الأمير الذي اختاره أهله ليكون أمير المؤمنين وقائدا عليه أن يجمع كلمة القبائل المتشتتة، ويقودها في حركة جهاد مقدسة لتحرير أرض الجزائر من الفرنسيين .

ث – ذلك القائد الذي كان يرى تباشير عصر جديد لا تصلح فيه الخطابة والسيف للتحرر وقادته ما زالو يظنون أن النصر يأتي بقصيدة وقلب رجل شجاع، ثم يخونه كل هؤلاء القادة، بل ويغدر به ملك المغرب ويحاربه بدل الوقوف إلى جانبه ضد العدو ويتخلى عنه السلطان العثماني .

وبعد جهاد دام خمسة عشر عاما يضطر إلى تسليم نفسه للفرنسيين حتى يحافظ على أرواح قومه، لأن المواصلة في ظل هذه الظروف ليست إلا انتحارا، ولكن الفرنسيين لا يوفون بعهدهم معه إلا بعد خمس سنوات قضاها في المنفى والحزن .

وفي مناقشات كثيرة حول الدين والإنسانية والخيل والمرأة في الإسلام مع ديبوش وغيره من الفرنسيين، أطلق سراحه من قبل نابليون بونابرت، حيث دهب إليه وأخرجه من ظلمات السجن بنفسه .

2 – المؤلف (واسيني الأعرج) :

روائي جزائري ولد سنة 1954 بقرية سيدي بوجنان الحدودية –تلمسان– يشتغل اليوم منصب أستاذ كرسي بجامعة الجزائر المركزية والسوربون بباريس، يعتبر أحد أهم الأصوات الروائية في الوطن العربي، على خلاف الجيل التأسيسي الذي سبقه، تنتمي أعمال واسيني، الذي يكتب باللغتين الغربية والفرنسية، إلى المدرسة الجديدة التي لا تستقر على شكل واحد وثابت بل تبحث دائما عن سبلها التعبيرية الجديدة والحية بالعمل الجاد على اللغة يقينياتها.

جوائزه:

في سنة 1997 اختيرت روايته حارسة الظلال ضمن أفضل خمس روايات صدرت في فرنسا، ونشرت في أكثر من خمس طبعات متتالية .

- تحصل سنة 2001 على جائزة الرواية الجزائرية على مجمل أعماله .
- تحصل سنة 2006 على جائزة المكتبيين الكبرى على رواية "كتاب الأمير".
- تحصل سنة 2007 على جائزة الشيخ زايد للآداب.

بعض أعماله :

- لبوابة الحمراء (وقائع من أوجاع رجل) دمشق/ الجزائر 1980.
- ما تبقى من سيرة لخضر حمروش، دمشق 1982.
- نوار اللوز، بيروت 1983.
- مصرع أحلام مريم الوديعة، بيروت 1984.
- ضمير الغائب، دمشق 1990.
- الليلة السابعة بعد الألف، الكتاب الأول 1993.
- الليلة السابعة بغد الألف، الكتاب الثاني 2002.
- سيدة المقام، المانيا الجزائر 1995.

- حارسة الظلال، الطبعة الفرنسية 1996.
- ذاكرة الماء، ألمانيا 1997.
- مرايا الضرير، باريس 1998.
- شرفات بحر الشمال، بيروت 2001، وغيرها من الأعمال .
- ترجمت أعماله للعديد من اللغات الأجنبية من بينها الفرنسية، الألمانية، الإيطالية، السويدية، الدنماركية، العبرية، الإنجليزية، الإسبانية.

خاتمة

في الختام تأتي زبده القول إلى ما توصلنا إليه عبر رحلتنا في أرجاء وجوانب رواية الأمير لواسيني الأعرج،المليئة بالإحداث التاريخية والشخصيات البطولية التي كان لها الدور الفعال في بلورة أحداث هذه الرواية الأنا العربية المتمثلة في شخصية الأمير عبد القادر الجزائري أول مؤسس للدولة الجزائرية الحديثة وكفاحه لمدة خمسة عشر عاما ضد المستعمر الراهب، العسكري، المتغطرس وحتى المتسامح ، حيث أن أكثر شخصية ركز عليها الروائي هي القس مونسينيور انطوان ديبوش الذي منحه الروائي فضاء سرديا واسعا ومن الاستنتاجات التي استخلصناها من خلال قراءتنا لرواية كتاب الأمير إن : جسدت لنا الرواية الأنا العربية المسلمة المجاهدة (المتصوفة كما صور لنا الرؤية الإنسانية التي طغت على فكر الأمير الذي كان يهدف دائما إلى إيصال صورة ايجابية عن العرب وأبعاد فكرة أنهم نكرة وهمجيين فقد حاول المحافظة على عدم إراقة الدم الإنساني والحفاظ على الأرواح البشرية بشكل عام بصرف النظر عن كونها جزائرية أم لا من جهة ومن جهة أخرى ورغم سهره على عدم إراقة دم الجزائريين فـإنه كان مصرا على عدم التفريط في أخد حق الذات والوطن من الآخر الغ ازي،و من الأنا الجمعية الخ ائنة والمتخاذلة والمتعاملة مع الآخر الفرنسي ،أما بالنسبة للشخصية الأخرى التي تتقاطع مع الأمير عبد القادر في الرواية و هي: شخصية مونسنيور ديبوش الذي اعتبره الروائي طرفا رئيسيا في المعمار والمبنى والقيمة والهوية في متن "كتاب الأمير " باعتباره قيمة الأخر في جدلية صناعة الوقائع التاريخية بدءا وفي هندسة الأحداث السردية اللاحقة، بالإضافة إلى انه يعتبر المشروع الذي تقام في فضاءاته مختلف الحوارات الإنسانية التي دارت بينه وبين الأمير بجميع مقاصدها ومرجعياتها.

عمدت الرواية إلى إبراز الأنا المنفتحة على الآخر المتقبلة له، –وان صح التعبير – الخاضعة له ،على أساس العلاقة الإنسانية التي تتجاوز الانتماءات الضيقة، فالصداقة التي جمعت الأمير عبد القادر ومونسينيور ديبوش والتي كان لها النصيب الأوفر من الرواية، ساهم واسيني الأعرج من خلالها على إزالة الأوهام الأفكار المشوهة، والتي يؤكد من خلالها فى إمكانية التواصل بين ثقافتين تنتميان إلى روح الإنسان متجاوزا بذلك كل الصراعات والخلافات، فالروائي أعطى بعد ا آخر لشخصية الأمير عبد القادر هذه الشخصية

الأسطورية، التي كان لها الفضل في إعادة بناء دولة بكاملها محاولا بذلك بناء جسر بين الأنا والآخر .

من خلال هذه الرواية تمكنا من الإجابة على الإشكالية المطروحة مسبقا والتي تقتضي بان الأنا بحاجة إلى سياسة الآخر من اجل التغيير ،فالأمير عبد القادر حاول معرفة سياسة الآخر وتفكيره قبل محاولة هزيمته في الحرب لان الهزيمة الفكرية أهم.

الرواية تمكنت من تصوير أبعاد أخرى لنضال الأمير عبد القادر وحواراته مع الفرنسيين في الجزائر أو في المنفى.مثلما عكست جوانب إنسانية كانت قد أولتها أهمية على حساب الجانب البطولي .

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .

المصدر:

1 -واسيني الأعرج : كتاب الأمير ، مسالك أبواب الحديد ، منشورات الحر ، الجزائر ، د،ط ، 2010.

المراجع :

1 -أحمد يحي الرق : علم النفس ، قسم علم النفس التربوي ، كلية العلوم التربوية ، الجامعة الأردنية ،دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان الأردن د،ط ، 2006.

2 -أشرف أحسن منصور : تاريخ الفلسفة الحديثة ، ديكارت ،2008.

3 -بسام العسيلي : الأمير عبد القادر الجزائري ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان ، 2010.

4 -د.بشير بويجرة محمد : الأنا ، الآخر ورهانات الهوية في المنظومة الأدبية الجزائرية ، منشورات دار الأديب حي باهي اعمر السانيا ، وهران الجزائر د،ط 2007.

5 -تركي الحمد : الثقافة العربية في عصر العولمة ، دار الشافي ، بيروت لبنان ، ط1، 1999.

6 -سعد البازغي :

7 -سليمان عشراتي : الأمير عبد القادر السياسي قراءة في فرادة الرمز الرمز والريادة ، دار العرب للنشر والتوزيع ، وهران ، الجزائر ، د،ط ،2009.

8 -عبد القادر قيدوح :الإتجاه النفسي في نقد الشعر الغربي ، دار الصفاء للنشر والتوزيع ، ط2009،2.

9 -سيقموند فرويد : الأنا والهو ، ترجمة د، محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر،ط4، 1904.

10 ـ د ، ماجدة حمود : إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية) عالم المعرفة ، الكويت ط1 ، مارس 2013.

المعاجم :

1 ـابن منظور : لسان العرب ، ضبط نصه وعلق حواشيه خالد رشيد القاضي ، دار صبح ، واد يسوفر ، بيروت ،لبنان ، ط1، 2006.
2 ـابن منظور : لسان العرب ، مادة آخر باب الهمزة ، ج2 ، دار المعارف ، القاهرة .
3 ـالمنجد في اللغة العربية والإعلام ، دار المشرق والمكتبة الشرقية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1991.

المجالات :

1 جان غرايش : (الغيرية : مقولة أخلاقية)، الغيرية الآخر ، مقولات التجاور وإمكانات اللقاء ، العدد 2 ، السداسي الأول ، 2007.
2 ـنعيمة حاج عبد الرحمان ، الأزهري ريحاني (ليس في ثقافتنا مفهوم للآخر وحوار الثقافات شعار ظرفي) ، الغيرية ، الآخر ، مقولات التجاور وإمكانات اللقاء ، العدد2 ، السداسي الأول 2007.

الشبكة العنكبوتية :

- www.alhiwar.org/debat/show
- /httpM/ebnkhaldoun.com/les.lecon.pnp?id
- www.kalema.net/v1/?rpt:86endart.traduircettepage.
- http://nasa_eh.wama3lomat.123.st//278.topic

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

- مقدمة.....أ
- مدخل عام.....5

الفصل الأول : الأنا والآخر بين المفهوم اللغوي و الاصطلاحي

أولا : مفهوم الأنا 10

1 -الأنا عند علماء النفس 10

أ - الأنا عند فرويد

ب -الأنا عند يونغ

2 -الأنا عند الفلاسفة 13

أ - الأنا عند لالاند

ب -الأنا عند ديكارت

3 -الأنا في الفكر العربي 15

أ - لسان العرب لابن منظور

ب -الأنا عند تركي الحمد

ثانيا : مفهوم الأخر 17

1 -الأخر بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي 17

أ - المفهوم اللغوي .

ب -المفهوم الاصطلاحي .

2 -الآخر مفهوم تاريخي تطوري 18

3 -سيرورة مفهوم الآخر فلسفي 19

4 -مفهوم الغيرية عند جن غرايش.....21

5 -الغيرية عند الجابري.....21

الفصل الثاني : تجليات الأنا والأخر في رواية الأمير لواسيني الأعرج

1 ـصانع الوقائع التاريخية 24
2 ـالأنا العربية المسلمة 25
3 ـالأنا المتسامحة 27
4 ـالأنا المقاومة 28
5 ـالأنا الإنسانية 29
6 ـالأنا الخاضعة.....32
7 ـشخصية أنطوان مونسنيور ديبوش 34
8 ـالآخر العسكري 37
9 ـالآخر المتفوق.....39

ملحق

1 ـملخص الرواية 42
2 ـالمؤلف واسيني الأعرج 44

خاتمة

قائمة المصادر و المراجع.....50